نشرة فصلية متخصصة
بالتعريف بكتب المرأة العربية

نور – دار المرأة العربية

هيئة التحرير

رئيس التحرير: د. أمينة رشيد

مدير التحرير: حسناء مكداشي

الإخراج الفني/الرسوم: عدلي رزق الله

سكرتير التحرير: سمية عامر

تنفيذ: مكرم شحاته

مجلس المؤسّسات

ثريا التركي أستاذة علم الأنثروبولوجيا – الجامعة الأمريكية – القاهرة

حسناء مكداشي المدير التنفيذي لدار «نور»

ليلى شهيد سفيرة منظمة التحرير الفلسطينية في فرنسا واليونسكو

نادية حجاب مسئولة التنمية البشرية في برنامج الأمم المتحدة للتنمية

هدى زريق رئيس مجلس المؤسسات لدار «نور» أستاذة الاحصاء الصحي – الجامعة الأمريكية – بيروت خبير مشارك في مجلس السكان الدولي

نور – دار المرأة العربية
٩ شارع مديرية التحرير
جاردن سيتي–القاهرة–جمهورية مصر العربية
هاتف وفاكس ٣٥٥٣٨٢٥

محتويات العدد

كلمة التحرير / إبداع الذات ..... د.أمينة رشيد ٤
صورة كاتبة / مي غصوب ٥
ما بعد الحداثة / مي غصوب ..... إعتدال عثمان ٨

مراجعات في علم الإجتماع

الثقافة والأيديولوجيا في العالم العربي / د. فهمية شرف الدين حلمي شعراوي ١٠
باحثات / تجمع الباحثات اللبنانيات ..... د. هدى وصفي ١٣
المجتمع الفلسطيني / جماعة من الباحثين ..... د نادر فرجاني ١٥
فصاحة الصمت: في شأن المرأة الجزائرية / مرنية الازرق ..... د.ليلى أبو اللغد ١٧

مراجعات في الأدب

حبات النفتالين / عالية ممدوح ..... د. لطيفة الزيات ١٩
نساء وكلمات فى السعودية / صديقة عربي ..... د. أمينة رشيد ٢٠
صاحب البيت / د. لطيفة الزيات ..... د. فريال غزول ٢١
تلابيب الكتابة / صافيناز كاظم ..... د. سيد البحراوي ٢٣

ملخصات في علم الاجتماع ٢٥
ملخصات في الأدب والنقد ٢٨
مجلات المرأة العربية ٣١
وثيقة: دفاعا عن ديمقراطية تعادلية / النساء نصف الكرة الأرضية ٣٣
أسماء وعناوين دور النشر ٣٨

كلمة التحرير

إبداع الذات

بين ذاكرة المكان وإنتاج المعرفة

تدور أغلب الأعمال التي نقدمها في العدد الثالث من "نور" حول ذاكرة المكان والبحث عن الذات. كما السير الذاتية التي قدمناها في العدد الثاني من النشرة، يسترد السرد الروائي هنا ذاكرة الطفولة في المكان البعيد/القريب الذي توارى في التاريخ ومازال موجودا في الذكريات الحية: بغداد عند عالية ممدوح، عباسية القاهرة عند صافيناز كاظم. سواء استعملت الكاتبة تقنية تيار الوعي بتداعياته في اللعب على الأزمنة أو الرصد الدقيق لمعالم الحيّ القديم، تعيش الذاكرة حول حنين الروائح القديمة والألوان، ملامح الحياة وعلامات تاريخ مؤلم.

يتناول السرد أيضا المكان/الوطن، والوطن/ الأمومة. ترمز إليه صورة البطلة المكورة في سريرها عند لطيفة الزيات وتتحدث عن الوطن/ الأمومة فوزية مهران في أغنيتها للبحر. الوطن/الأزمة، تهديد السجين عبر الصور واللمحات التي تجري، مجنونة، في صاحب البيت، بينما يتمثله الأب السجان في حبات النفتالين، أو الوطن الخانق عند الكاتبات السعوديات عبر النصوص التي تقدمها صادقة العربي. الوطن/الغربة أيضا، يتحول إلى الألفة، والألفة تهددها دائما غربة أخرى في جدل عميق بين طبقات الحنين والاغتراب عند بثينة الناصري في مجموعتها ذات العنوان الجميل: وطن آخر.

لا يغيب التاريخ أبدا عن هذه الكتابات التي تأخذ المكان موضوعا لها. بين مصر والعراق، لبنان والسعودية، تعيش صور التاريخ البعيد والقريب. فلسطين المحتلة أو فلسطين البطلة، مقاومة الجزائر الحية في الذاكرة. البحث عن التراث في علامات الحاضر والوعي بالحاضر وبالمستقبل لإعادة بناء الماضي، تثبت المرأة العربية مرة أخرى أن في إمكانها الراهن تجاوز كتابة انتظار أمير الأحلام أو كتابة الجنس لمجرد الجنس كي تظهر أنها امرأة متحررة. كتابة تتجاوز المفهوم النسوي للكتابة النسائية وتخوض في عمق تجربة الذات والوطن.

تثبت المرأة أيضا أقدامها في مجال إنتاج المعرفة سواء في المعرفة النظرية للفكر والأيديولوجيا أو في البحث عن حقيقة المجتمع العربي، أو في التعرف على التيارات الغربية وصداها فيه.

نحيي في هذا المحور كتاب فهمية شرف الدين في الثقافة والأيديولوجيا الذي يتعرض لواقع الفكر العربي الحديث بذكاء ووعي بمعضلات وتناقضات الهم الثقافي العربي. يعتمد الكتاب بشكل أساسي على وصف الأنظمة الفكرية التي هيمنت على المنطقة بين ١٩٦٠و١٩٩٠ مبرزا مواقع التقدم ونقاط الفشل في جدل الثقافة والأيديولوجية. وتتميز الباحثة بعرضها النقدي لهذه الاتجاهات التي اتسمت بالانتقائية والازدواجية، مما يفسر –من وجهة نظرها– الفشل الذي أدى إلى انتصار التيارات السلفية. من خلال النقد والنقد الذاتي لليسار الذي تنتمي إليه الكاتبة، استطاعت أن تضيف صوتها إلى أبحاث أخرى تجري الآن من أجل معرفة أفضل للذات العربية بين التاريخ والنظرية، من أجل تصويب مسار المنهج وتعميق الفكر.

وفي مجال المعرفة الأفضل بالواقع قامت مجموعة من الباحثات العربيات بدراسة للمجتمع الفلسطيني بأبعاده المختلفة. ونضيف هنا صوتنا إلى صوت مراجع الكتاب الذي يتأسف لكون مثل هذه الدراسات المهمة ما زالت تمول من الخارج يقول : « فقد أصبح القيام بدراسات ميدانية كبيرة في البلدان العربية، للأسف، رهنا بتوفر التمويل من جهات أجنبية.

ومن دون الوقوع في هوس المؤامرات الأجنبية، فإن هذا يشكل قيدا على إنتاج المعرفة عن المجتمعات العربية، . خطر وقيد سوف يستمران، للأسف، ما لم يعي المجتمع العربي ضرورة إيجاد التنظيم والتمويل لمعاهد بحثية عربية، بينما توجد الأموال لتنظيم المهرجانات الاحتفالية التي لا تنتج معرفة ولا تخلق ثقافة عميقة تضرب في الجذور وتكتسب الذهنية العلمية الحديثة.

عن الحداثة وما بعد الحداثة، تقدم مي غصوب رؤيتها العربية. مجهود مهم يطالب ربما بتعميق البحث العربي حول بعض النقاط المذكورة. فإذا كانت ما بعد الحداثة تعرف بتجاور الأنظمة المختلفة وسيطرة الصورة الإعلامية على الأذهان –مثلما تبين الباحثة– أليس من واجبنا أن نتعرف إلى الجذور الأيديولوجية لهذه الظاهرة وآثارها السياسية على المجتمعات العربية؟ كي لا نقع في إعادة إنتاج الأيديولوجيا العربية التابعة، علينا أن نتساءل عن الاختلاف بين معنى التجاور في مجتمع متخلف، ما قبل رأسمالي، خاضع لسوق أجنبية مهيمنة والتجاور بمفهومه الغربي الذي نشأ في مجتمع الشركات المتعددة الجنسيات في إطار الإعلان عن موت الأيديولوجيات ورفض الجزء الثوري للحداثة في بدايتها. ومن واجبنا أيضا أن نتعرف بشكل أفضل إلى دور الصور في مجتمعات مازالت تتفشى فيها الأمية، غريبة عن أنماط وسلوك الاستهلاك التي تقدمها هذه الصور المثيرة للرفض والانبهار معا، منتجة للانكسار والابتعاد عن مقاومة السائد، أو الوقوع في الأصوليات الزائفة البعيدة عن التقدم وإبداع الحياة الأفضل للإنسان العربي.

د. أمينة رشيد

صورة كاتبة / ناشرة

مي غصوب

- مكان الولادة وتاريخها / بيروت، ١٩٥٢
- الدراسة / الفن لسنة واحدة في كلية الفنون الجميلة في بيروت، ثم الرياضيات في الجامعة الأميركية في بيروت والتخرج فيها ١٩٧٤، والأدب الفرنسي بين ١٩٧٢ و ١٩٧٧ في الجامعة اللبنانية ثم في باريس.
- العمل / نشاط صحافي متقطع في باريس أواسط السبعينات، ثم المشاركة مع أصدقاء في تأسيس وإدارة "دار الساقي" في لندن في ١٩٧٩ التي توسعت منذ ١٩٨٣ من مكتبة إلى دار نشر بالعربية والإنجليزية.
- نشاطات أخرى / النحت والكتابة إبان العطل وفي نهايات الأسبوع

أ. عروض في
Holland Park Orangerie, Kufa Gallery, & East-West Gallery (London).
ب. عرض مسرحي مع نصوص ومنحوتات في Kufa Gallery (1993) .
ج. منشورات

١. المشاركة في تأليف كتاب بالفرنسية بعنوان (فَهْم لبنان) Comprendre Le Liban (1977).
٢. ما بعد الحداثة – العربَ في لقطة فيديو (بالعربية، ١٩٩٢).
٣. المرأة العربية وذكورية الأصالة (بالإنجليزية والعربية).

ما بعد الحداثة : العرب في لقطة فيديو

مي غصوب

الناشر / دار الساقي / لندن / ١٩٩٢ / ١٠٣ صفحات

مراجعة / اعتدال عثمان

تناقش الكاتبة اللبنانية مي غصوب مفهوم ما بعد الحداثة بوصفه ظاهرة تمثل ثقافة المدن العالمية " الكوزموبوليتانية " في عصر تطور وسائل الإعلام وثورة المعلومات.

ففي المدينة " الكوزموبوليتانية " تتجاور منظومات معرفية شديدة التنوع والتباين، تعبر عن ثقافات ولغات وأنماط حياة متعددة، تجد تجسيدا فنيا لها في أشكال فنون بصرية وسمعية وحركية لا تقل تعددا، على حين يقوم مجتمع هذه المدن على الإنتاج الصناعي الضخم والاستهلاك الهائل من الخيارات، وتحقيق الربح وفق قانون السوق الحرة.

وإذا كان التجاور والتعدد هما السمتين الرئيسيتين لظاهرة ما بعد الحداثة فإن أهم خصائص الظاهرة يتمثل في صناعة الصور المرئية وبثها عبر الأقمار الصناعية وشاشات التلفزيون وشرائط الفيديو.

إن العالم لم يصبح – نتيجة لثورة المعلومات – قرية عالمية فحسب، بل إن العالم نفسه يكاد يكون شريطا ممتدا لصور مرئية، يعرض على شاشات تلفزيونية كبيرة، تتزامن بواسطتها وقائع وأحداث لا حصر لها، ولا تفصل فيما بينها حدود المكان، أو الزمان. والفرد في هذه الحالة لا يستطيع أن يتبين إذا ما كانت الصور تنقل إليه واقعا حقيقيا أم مصنوعا ومزيفا، فليس ثمة معيار يفرق بين حقيقة الشيء وصورته على الشاشة، وإنما يتحول الواقع عن طريق وسائل الإعلام إلى مجاز من الصور.

ويصف جان بود ريار – وهو واحد من المنظرين الإنجليز لظاهرة ما بعد الحداثة – العلاقة بين صورة الواقع والواقع نفسه من خلال تسلسل سياقي تمر به الصورة فتكون انعكاسا لواقع أساسي، يتم تقنيعه وتغييبه ثم قطع الصلة بين الصورة وذلك الواقع. وفي النهاية نحصل على نتيجة هي الصورة المصنوعة الدالة على نفسها وليس على ما هو خارجها.

وإذا كان الواقع في سياق ما بعد الحداثة هو صورته المصنوعة فإن التلاعب بالصور التي تمثل الواقع يعني التلاعب بالواقع نفسه، فالتغطية الإعلامية التي نقلتها شبكات التلفزيون العالمية لحرب الخليج، على سبيل المثال، أظهرت تأثير الصور، ليس على جماهير المشاهدين فحسب بل أيضا على مدبري الحرب أنفسهم.

تتخذ مي غصوب في كتابها الشائق الصغير موقفا يتسم بقدر ملحوظ من الموضوعية والأمانة العقلية والصدق البالغ مع النفس، فتناقش وجهات النظر المؤيدة والمعارضة لظاهرة ما بعد الحداثة وانعكاساتها على مختلف أوجه الثقافة كالأدب والفن التشكيلي والموسيقى والغناء وهندسة العمارة. وتتناول الكاتبة أطرافا من ذلك كله من منظور مثقفة عربية تعيش في قلب الظاهرة في مدينة كبرى هي لندن، وتمتلك وعيا نقديا مفتوحا على العالم وعلى الوطن العربي في آن واحد.

تعترف الكاتبة منذ الصفحات الأولى للكتاب بصعوبة تعريف مفهوم ما بعد الحداثة لما يشتمل عليه من تضارب داخلي، إذ يقوم من ناحية على التجاور والتعدد الثقافي والتعايش فيما بين المتناقضات وقبول الاختلافات العرقية والمذهبية والجنسية والاجتماعية وتساويها من حيث الأهمية والقيمة، بينما تفضي الظاهرة نفسها من ناحية أخرى إلى تفاقم تناقضات أساسية، تنبع من طبيعة مجتمع المدينة " الكوزموبوليتانية " ذاتها. إن قانون الاستهلاك والربح يجعل كل شيء معرضا للشراء وقابلا للشراء بما ينطوي عليه ذلك من تفاوت اقتصادي واجتماعي، يتناقض مع رفض دعاة ما بعد الحداثة لأنواع التراتب في المجتمع. وذلك المجتمع نفسه ليس سوى شريط من الصور المرئية. والنتيجة أن الصور التي تصنع عن الواقع هي التي تصنع الواقع.

ويكشف المجال الفكري الدائر في الغرب بين الحداثيين وأنصار ما بعد الحداثة أن القضية لم تحسم بعد، وأن هذا المجال نفسه يمثل حصاد القرن العشرين. لقد بدأ القرن الحالي بصعود الحداثة، وبنظرة متفائلة إزاء قدرة الإنسان على تحقيق التقدم المادي والتقني بغير حدود، وتسخير الطبيعة بواسطة العقل والعلم، وبلوغ النزعات التنويرية آفاقا غير مسبوقة في تاريخ البشرية، عززها دور النخب في حمل رسالة التقدم، على أساس نظرة كونية وكلية "توتاليتارية" ، بينما ينتهي القرن الآن وقد شهد العالم الحروب العالمية والمحلية والكوارث الإنسانية والطبيعية، نتيجة

المعرض الأول لكتاب المرأة العربية
ملتقى المبدعين والمبدعات بإنتاج كتاب المرأة العربية

الإخفاق في الإجابة عن أسئلة الوجود البشري من ناحية وإساءة استخدام البيئة الطبيعية من ناحية أخرى، فضلا عن ظهور النظم الفاشية وانحسار الأيديولوجيات...إلخ.

ويرى المفكرون في سياق ما بعد الحداثة أن العالم ليس كيانا منطقيا متجانسا يمكن فهمه بالعقل وحده، بل إن الأنظمة المعرفية السابقة على التصورات الكونية تقدم تفسيرات للعالم تعد في نظر مفكر ليبرالي مثل أزايا برلين أكثر تقدما وتسامحا وقدرة على تعايش هويات ثقافية متباينة بما لا يقارن بالقرن العشرين. وفي المقابل نجد مفكرا معروفا مثل ريموند وليامز ينتقد ظاهرة ما بعد الحداثة من حيث إنها تقوم على التجاور السطحي والتفتيت والبعثرة وضياع الهوية ونقص متطلبات التواصل الإنساني.

ولقد انعكس تيار ما بعد الحداثة على الحركة النسوية التي نشأت خلال الستينات، فنجد بعض المنظرات يهاجمن ثقافة التنوير والنظرة الكونية للعالم من منطلق صدورها عن تصور زائف تفرضه المجموعة المسيطرة بما يتعارض مع التصورات النسوية لمعرفة الحقيقة. وتستبدل الحركة النسوية بالنظرة الأحادية الكونية، الهوية الاجتماعية القائمة على التعدد والتركيب وصيرورة التغير وتقاطع الثقافات. أما الممارسة السياسية فتنبني، في إطار الحركة النسوية، على التحالفات وليس الالتفاف والتوحد حول مصلحة، أو هوية كونية.

.وتظهر خصائص ما بعد الحداثة في مجال الأدب والفنون الأخرى من خلال سمات أهمها استخدام المجاز الأدبي والسخرية والمحاكاة التهكمية بالإضافة إلى تجاور المفاهيم وطرق التقنية والمزج بينها.

ومن النماذج الدالة على أدب ما بعد الحداثة تختار المؤلفة رواية أمبرتوايكو "اسم الوردة" بوصفها مجازا أدبيا ينبني على تعدد الرموز وتداخل شفرات نصية متباينة المصادر وخلق الموضوعات وتوليد الصور والمزج فيما بين أشكال أدبية مختلفة منها البوليسي والتاريخي والفلسفي وغير ذلك.

وترى الكاتبة أن الساحة العربية لا تخلو من ظهور مؤشرات ما بعد حداثية في مجالات الرواية والشعر والفن التشكيلي من دون أن يكون رصدها لبعض هذه المؤشرات تقصيا لأبعاد الظاهرة في واقعنا العربي الذي لم يتعرض بعد –في رأيها– لصدمة ما بعد الحداثة. ومن بين الأمثلة التي تستوقف الكاتبة روايات جمال الغيطاني المستوحاة من التراث التي تعد استعارات مطولة ينعكس من خلالها تجاور الأزمنة، على حين تظهر في بعض قصائد الشاعر اللبناني عباس بيضون الصور الدالة على تعدد هموم الإنسان العربي بغير أن تكون متراتبة. وتمثل أعمال الفنان التشكيلي اللبناني محمد الرواس نموذجا آخر في هذا المجال، إذ تقوم اللوحة على الجمع بين أشكال وصور مختلفة تنتمي إلى مرجعيات فنية متباينة فتتجاور رسوم دالة على عصر النهضة وعصر الفراعنة وحقبة الستينات وصور نجوم السينما أو الرياضة، بغير أن توجد بؤرة محورية للعمل الفني.

أما السخرية والمحاكاة التهكمية فإنهما يظهران فى التوظيف الواعي لما يطلق عليه "الكيتش" Kitsch. والكيتش لفظة ألمانية تعني العمل الفني الذي يعبر عن ذوق صارخ أو مبتذل، أو نوع من سقط المتاع الاجتماعي. ويستخدم "الكيتش" في الفنون ما بعد الحداثية بما يتضمن قدرا من السخرية والتلاعب والتسلي بمثالية القيم الجمالية الكلاسيكية والصرامة العقلية التي ينبني عليها الفن الحديث وما يشتمل عليه ذلك من نظرة تراتبية بين الرفيع والوضيع، أو السامي والمبتذل.

وفي سياق ما بعد الحداثة ينتفي تراتب الأذواق فتتسع الذائقة للموسيقى الكلاسيكية مثلا إلى جانب الموسيقى الشعبية المعبرة عن ثقافات العالم في الشمال والجنوب على السواء، وتتزامن إعادة صياغة نغمات الموسيقى الرفيعة بآلات شعبية مع لمحات من " الكيتش" في مجال الغناء فتلقى أغنيات "مادونا" أو "مايكل جاكسون" استحسانا وإقبالا على مستوى العالم، لا يناظره في سياقنا العربي سوى انتشار ما يطلق عليه الفن الهابط عن طريق شرائط الكاسيت.

وفي مجال هندسة العمارة تظهر المجازات الرمزية الخصبة في الجمع بين عظمة الصروح الضخمة والخفة والمتعة وشيء من "الكيتشية" بما يتيح للأفراد مساحة لأن يضيفوا أشكالا من التزيين تعبر عن الذوق الفردي وتنوع الهوايات الثقافية وخصوصيتها.

إن كتاب مي غصوب يجذب القارئ إلى رحلة غنية بمتعة الفكر ومعايشة الحياة العصرية. لكنه يكشف في الوقت نفسه عن حيرة معرفية، لعلها بعض سمات ظاهرة ما بعد الحداثة على نحو ما تبدو في مهدها. فالأسئلة التي تطرحها الكاتبة حول مستقبل ما بعد الحداثة في القرن المقبل تظل مفتوحة على المجهول بينما نظل نحن العرب لقطات في شريط الصور المرئية، ومن ثم فإن علينا مناقشة أبعاد الظاهرة وآثارها بوعي نقدي، تقدم مي غصوب مدخلا شخصيا له في كتابها بما يعد إضافة مهمة.

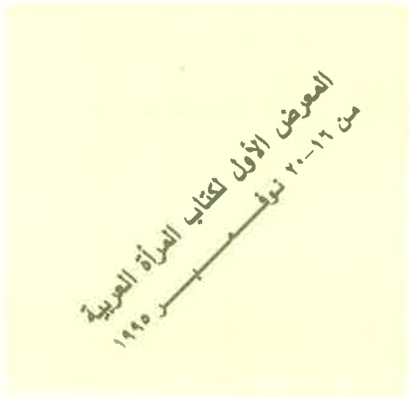

مسرحية ، راقصون ، كلمات ، وموسيقيون ، كتبت نصها مي غصوب وعرضت في جاليري الكوفة في لندن عام ١٩٩٣.

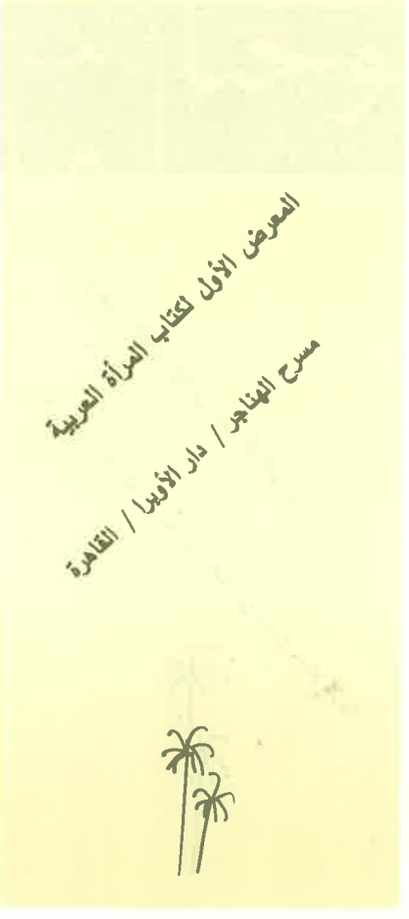

مراجعات في علم الاجتماع

الثقافة والأيديولوجيا في العالم العربي ١٩٦٠ – ١٩٩٠

د. فهمية شرف الدين

الناشر / دار الآداب / بيروت / ١٩٩٣ / ٢١٠ صفحات

مراجعة / حلمي شعراوي

تمر سنوات على الثقافة العربية لا يتناول فيها أحد قضايانا الثقافية والأيديولوجية المهمة، تكون فيها التيارات الفكرية والسياسية مشغولة بمعاركها وجزئياتها، وعالم البحوث مشغول بمشروعاته البحثية الإمبريقية. وكثيرا ما ننتظر حتى تفد إلينا من هنا وهناك بعض العناوين الجديدة، تطرق باب ثقافتنا بعد حصة نوم أخرى، فتبدو أشبه بالمسحراتي الذي يوقظ أهلنا بدقات السيمفونية التاسعة! هكذا يتصور قارئ بسيط مثلي دقات الحداثة وما بعد الحداثة في مجتمعنا العربي؟ إذا افترض أن يتوفر لعروضها متعة دقات المسحراتي، أو الحركة الرابعة في تلك السيمفونية الأوروبية.
لذا بدا لي كتاب الدكتورة فهمية شرف الدين عن الثقافة والأيديولوجيا في العالم العربي ١٩٦٠–١٩٩٠ الصادر عام ١٩٩٣ كأنه دقات محلية مختلفة في طعمها، لأنه، أولا، في منطقة لا يلجها الكثيرون الآن، وثانيا لأنه يدق ببعض الأسئلة أبواب الصائمين عن التساؤل. وهي لا تكتفي بذلك، بل تضع مادتها في يد سمير أمين ليقدم لها الكتاب وهو الذي يعتبر واحدا من أكبر مثيري التساؤلات في الثقافة العربية في الفترة الأخيرة.

والكاتبة تعكس حسا هندسيا عاليا في تخطيطها للكتاب فيأتي في ثلاثة أقسام الأول للإشكالية ومنهج العمل، وثانيها عن التيار التحديثي، وثالثها عن التيار التقليدي. ويظل القارئ في توازن المساحات والترقيم مع «الست المهندسة» حتى لو أراد أن يطلب منها براحا أكبر في عرض هذه القضية أو هذه الشخصية، ولكن بدون جدوى. وقد كنت أتصور أن حديث الثقافة والأيديولوجيا قد يفرض على المؤلفة منهجا أقل حزما أو هندسية، ولكنها رأت أن تعتمد على ثقافة القارئ لا على تحليلها هي لعناصر الثقافة الواجب التعامل معها فيما تثيره من قضايا، ولقد أوقفها ذلك – معنا – مباشرة في دائرة التساؤل المضاد، فأية ثقافة تعني الكاتبة؟ هل المعنى السوسيولوجي أو الأنثروبولوجي لعناصر المكون الاجتماعي الثقافي الشامل للثقافة الشعبية، أم تراها تقف عند حدود الثقافة السياسية النخبوية المكتوبة فحسب على النحو الذي أخذت به؟ وأية أيديولوجية تتعامل معها الكاتبة؟ هل الأيديولوجية المهيمنة ذات الآليات المتعددة الوجوه في أجهزة الدول والأحزاب والحركات الاجتماعية والشعبية، أم أيديولوجيا الفكر السياسي الذي تتداوله القوى السياسية أو الاجتماعية من أجل هيمنة أخرى؟

الواقع أن الكاتبة قد انتحت بنا فحسب في دهاليز التيارات الفكرية والسياسية المألوفة للقارئ السياسي من التيار الليبرالي إلى القومي إلى الماركسي إلى الإسلامي (سلفيا أو أصوليا). ومن ثم تبقى التساؤلات التي يدخل بها القارئ وهو يطالع «تخطيط» الكتاب، ويكاد يدخل على «التخطيطة» مهاجما فإذا به أمام كاتبة تملك من شجاعة المبادرة، والتوازن في الحصار، ما يوفر على القارئ بعض تساؤلاته العدوانية!
إن الكاتبة لها خبرة "المقاتلة اللبنانية" في تاريخ بيروت والجنوب اللبناني، وسط نيران دفعت الكثيرين خارج مواقعهم. لكنها هي بقيت طوال الحرب الضروس متابعة وناقدة للفكر الناصري واليساري والقومي على السواء بدون أن يخرج تفكيرها العام عن نطاق أي منها، وذلك كله في خضم تفاعل هذه التيارات ونيرانها أحيانا، بل وعاشت لأكثر من عشر سنوات على رأس مركز الإنماء العربي ذي التوجه القومي والناصري وصاحب شعارات الكتاب الأخضر، فحمته ببراعة من حصار النيران الكثيفة وسط بيروت، ولم تغادر. وبهذه القتالية والقدرة على الصلابة والتوازن،

تقترب وتبتعد عن مجمل التيارات الفكرية التي تتخذها مادة لقراءتها في هذا الكتاب، بل هي استطاعت أن تخط كتبا أخرى عن الاشتراكية العربية، والفكر القومي العربي فيما بين ١٩٨٦و١٩٩٢.

أولا – «التخطيطة» أو الإشكالية والمنهج

تجيب الدكتورة فهمية شرف الدين مبكرا في الكتاب عن تساؤلات طرحناها هنا عما نتصوره مفارقة الثقافي والسياسي عندها عن الاجتماعي والشعبي وجدلهما مع الفكر والأيديولوجيا، فتقول في بداية (ص٣٥) إن البنى الفوقية (في الواقع العربي) كانت إلى حد بعيد تجليات للصراع الاجتماعي، وتطور حجم الطبقة الوسطى: أو للاستقطاب الثنائي العالمي الذي دعم فرص الانقسام الاجتماعي وبلورته. وفي موضع آخر ترى أزمة الهوية ليست سوى تجليات لأزمة التكيف الاجتماعي (ص٤٨). وترصد الكاتبة التيارات الأربعة التي ترى تفاعل خطابها النظري والسياسي على هذا الأساس (الليبرالية – السلفية الجديدة – الاتجاه القومي – التيار الماركسي)، وتجعل قضية التحرر الوطني أو الوحدة إحدى الأولويات الأولى لهذه التيارات لفترة، ثم يأتي تناقض قضية الأصالة (أو الأصولية) مع المعاصرة كقضية بارزة في التحولات الأخيرة. ومعنى ذلك أن الخطاب القومي بعون ماركسي هو الذي ساد في الفترة الأولى بينما الخطاب السلفي الارتدادي هو الذي ساد في الثانية.

في منهج الكتاب –مثلما الحال بالنسبة إلى مسار الحركة الثقافية والسياسية في رأي الكاتبة –يسيطر "منهج التفتيت والتجميع" وهو منهج يخدم في تقديرها معالجتها لمادتها فيما بين ١٩٦٠ و ١٩٩٠، فالتفتيت حدث إثر هزيمة ١٩٦٧ للتيار القومي والماركسي، والتجميع (أو التركيب) حدث في السبعينات لصالح التيار السلفي إزاء عجز التيارين السابقين – ناهيك عن الليبرالي – على البقاء. وهي تطبق منهج التفتيت والتركيب بإخلاص مفرط، أحيانا لمناهج الحداثة وما بعد الحداثة– يفترض أن يكون منهجها الاجتماعي العام رافضا لها – في تحليلها للعلاقة الجدلية التي تراها بين التيارات المذكورة والواقع السياسي الاجتماعي العربي، حين يبدو بعضها قادرا على التجميع أحيانا وعاجزا أمام التفتيت أحيانا أخرى.

ثانيا – التيارات الفكرية الأيديولوجية

أعتقد أن هذا هو العنوان الصحيح لكتاب الدكتورة فهمية شرف الدين، وقد أسهمت في هذا المجال بمصاحبة القارئ في رحلة تأملية تضمنت ملاحظات شاملة وذكية حول صعود وهبوط التيارات الرئيسية في الوطن العربي بين ١٩٦٠و١٩٩٠، واضعة إياها بين دفتي التحديثية والتقليدية، وهو الإطار الجامع فعلا لما جرى في الوطن العربي طوال القرنين الماضيين وليس تلكم العقود الثلاثة الأخيرة فحسب. لذلك لم أعرف سببا قويا لمحاصرة اختيارها في هذه العقود اللهم إلا التزامها بمتابعة عملية التجميع والتفكيك كما قلنا، حيث كانت الستينات لحظة قمة لعملية التركيب أو التجميع، تبعتها لحظة تفكيك عالية في السبعينات، فترة تصارع هذه التيارات، تلتها لحظة تجميع أو تركيب لصالح السلفية والأصولية بقيادة التيار الخميني في الثمانينات ثم الحركة الإسلامية عموما بعد حرب الخليج الثانية ١٩٩٠.

في التيار التحديثي تجمع الكاتبة بين الليبراليين والقوميين والماركسيين. ومن عرضها تفهم أن المشروع الليبرالي حافظ على وجوده بقدرته على التلون في كل المراحل تقريبا. أما الماركسيون فكانوا فترة رافدين للمشروع الليبرالي وأخرى رافدين للمشروع القومي. ومع تصويرها لإنجازات المشروع القومي الذي خلخل البنى الاجتماعية القائمة (ص٥٥) إلا إن هزيمة ١٩٦٧ تعتبر حاسمة في نظرها لبدء عملية التفكيك لبنية المركب الذي أقامه المشروع القومي نفسه، وعقبها بدأت عملية إزاحة ثقافية متعددة الوجوه، فاتجه القومي إلى الخطاب الإسلامي، واتجه السلفي إلى الخطاب الأصولي، لتفرض أزمة "التكيف الاجتماعي" بعد الهزيمة العديد من الثنائيات التي تعرضها الكاتبة، ثم تمضي في عرض تيارات التحديث نفسها على النحو التالي:

أ– **الليبراليون**: طرح الليبراليون مشروع الحداثة وأربكوها في الوقت نفسه، فرفعوا شعارات دخول الأزمنة الحديثة وضرورات اللحاق بالغرب ورفض ثبات السلفية، لكنهم وقعوا في قبول العديد من الثنائيات وازدواج الشخصية، بهجومهم أولا على تغريب الماركسية ثم حديثهم عن الخصوصية بموازنة بين الذات والآخر لعدم القطع مع التراث من جهة وإبقاء ضرورات اللحاق من جهة أخرى. ولأن الطبقة الوسطى –في رأي الكاتبة– هي التي شكلت العامل الاجتماعي للمشروع التحديثي، فقد تأثرت مقولات التحديث بوضع هذه الطبقة وترددها فيما بين المشروعات المختلفة من الليبرالية إلى القومية حتى قبلت بالثورة الإسلامية على النمط الخميني. وتقدم الباحثة أدونيس مثلا – في فترة الدراسة – على تردد هذه الطبقة وتيارها الليبرالي الذي يزعم ضرورة «القطع» مع «التأسلف والتغرب» في آن، مع حياد مزعوم بينهما في رأي الكاتبة كما تمثله حالة أدونيس (ص٧٠)، من تحية لثورة إيران – صحيفة السفير ١٩٧٩ – إلى بيان الحداثة مجلة مواقف ١٩٨٠.

ب– **القوميون**: ومثالهم عند الكاتبة حزب البعث والناصرية. ورغم إضافتهم إلى عملية التحديث في المنطقة إلا

المعرض الأول لكتاب المرأة العربية
ندوات متخصصة في مجالات العلوم الاجتماعية والإبداع الأدبي
ملتقى اتصال بين القراء ومراكز البحث والأبحاث والجمعيات النسائية ودور النشر والنقاد
الكتب التي تتناول قضايا المرأة العربية من إنتاج الباحثين العرب
كتب الباحثات والمؤلفات العربيات التي صدرت في لغات أجنبية

إنهم تشددوا في عدم قبول فكرة اللحاق بالغرب والتأكيد على الذاتية والهوية العربية. والطريق الثالث الذي اختاروه لتقديم الحل الوسط عبر نضال الاستقلالية ورؤية التاريخ العربي، لم يعفهم في رأي الباحثة من الوسطية الانتقائية بين السلفية والليبرالية، بل إنهم عمليا كانوا في طريق اللحاق بينما تعسفوا في فكريات الأنا والهوية متغاضين عن رؤية التركيب الاجتماعي وتأثيراته في عملية الانفكاك والتركيب في الستينات. كما أثر وصول الأحزاب القومية إلى السلطة على الاجتهاد النظري وأحدثت هزيمة ١٩٦٧ تغليب عنصر التفكك. وبدلا من تعميق الخطاب النظري استهل هذا التيار عمليات الاستبدال والإزاحة في حل سؤال الديمقراطية محل الثورة، والعدالة الاجتماعية محل الاشتراكية وبزحف خطاب الإسلام على خطاب العلمانية.

جـ- الماركسيون: اختلط عندهم شعار الحداثة والتقدم ، واختلط الاستنهاض بجوهر الوعي، وسادت المطلبية وتأطير الجماهير حول القضايا المعيشية. زودوا التيار القومي في الستينات بأفكارهم التي غلبت عليها الإيقاعات الاقتصادية، ولم يحددوا جيدا القومي تجاه الأممي، وأثرت السوفيتية على تأملهم للماوية التي كان يمكن أن تساعدهم على بلورة الخصوصية. لم يعمقوا النظر المنهجي حين قرأوا النزعات المادية في الإسلام بدون ربط هذه القراءة بالواقع الاجتماعي. بعد تقديم هذه القراءة الناقدة لحركة الماركسيين تقدم الدكتورة فهمية شرف الدين نموذج سمير أمين كنموذج تركيبي متميز لقضايا الماركسية العربية، في نقده للسوفيت وتقديمه للثورة الصينية وإعادة صياغة ازدواجية غرب / سلف بالتفريق بين الرأسمالية والتغريب. كما تناقش الكاتبة بشكل نقدي جيد فكرة سمير أمين عن ذلك الارتباط ومدى إمكانياتها ومشكلاتها، وتذكر له إسهامه في تقديم البعد الثقافي للمدرسة الماركسية العربية (ص١٠٨)، ثم تقدم مهدي عامل في خصوصية قراءته للفكر الماركسي والتاريخ الاجتماعي العربي وتأثيرات نمط الإنتاج الكولونيالي الذي يعوق آلية التطور في بلادنا.

وفيما يتعلق بالتيار التقليدي، تقدر الكاتبة أن مرجعية النظرية هي "الخصوصية الثابتة" أو الذات والهوية المتجاوزتان لحركة التاريخ، وتراها تقوم على الإسلام (ص١٢٣ – ١٢٤)، وترى أن هذا التيار قد استعاد طاقته بفعل تفكيك التيارات التحديثية وفشل مشروعات التنمية العصرية الشاملة. وتفرق الكاتبة بين جناح السلفية (الممتد منذ القرن الماضي) وجناح الأصولية الذي ارتبط بالصحوة الإسلامية والارتدادية. وقد تكون الوهابية في نظر الباحثة مثل على نقيض ذلك لانتقالها من الأصولية إلى السلفية، حيث يجسد الإخوان المسلمون التيار السلفي الثابت بينما تمثل الخميلية الأصولية المتطورة، والأصولية بالذات لا تكتفي بنفي الحداثة ولكنها تطرح بدائل ذات بعد ثقافي سياسي.
وتعرض الكاتبة عرضا جيدا لمرجعيات هذا التيار: النص – الحاكمية – مفهوم التقدم. وهي ترصد انعكاسات هذه المرجعيات الثلاث لدى تيارات الفكر الإسلامي الحديثة بما يحتاج إلى قراءة متأنية. ويمكننا الإشارة إلى تمثيلها للأشعرية عند سامي النشار في قراءته للنصوص وإلى الحاكمية عند سيد قطب ثم استعمالها عند بعض النظم لتبرير نفسها، أو عند القوى المعارضة لإسقاط الشرعية عن الحكومات أو منحها لنظم، مثل السادات في مواجهة الناصرية. أما التقدم فهو في الحديث عن تمثيله في العصر الذهبي الغابر. وأفضل عرض له عند البعض الذي يتحدث عن الإنجازات الحضارية أكثر من حديثه عن السلفية.
والكاتبة تلاحظ محاولات التقاء هذا التيار مع التيارات الأخرى حول العدالة الاجتماعية ومعاداة الإمبريالية وتوابعها ورفض الرأسمالية والاشتراكية على السواء، ولكنها ترى تشدد المنتمين إليه في تجاهل قوانين الصراع الحضاري أو الاجتماعي مما يغيبهم عن فهم الصراع الواقع في المنطقة نفسها. وتحسب الكاتبة أفكار عابد الجابري وحسن حنفي ضمن محاولات التوازن والإصلاحية في هذا التيار بسبب أصولهم القومية أو الناصرية، حيث يذهب الجابري نسبيا في تيار الرأسمالية لتأكيده صلتها بالعقلانية، بينما يذهب حسن حنفي إلى الناصرية لتأكيده الأصولية في التراث والمجتمع.
وفي الخاتمة، ترى الكاتبة أن فشل المشروعات السابقة (ليبرالية وقومية) هو الذي أصاب المرجعية التحديثية ويحقق النجاحات للمحاولة الإسلامية في تفكيك التيارات السابقة، ومع ذلك تؤثر الحالة اللبنانية على الكاتبة في رؤية هامش التغيير في لغة عدد من التيارات خاصة من قبل القومية تجاه الأصوليين أو من قبل الإسلاميين تجاه الفكر الاجتماعي ومعاداة الإمبريالية والصهيونية خاصة بعد أن تبلور الموقف عقب حرب الخليج ١٩٩٠ والحلول المطروحة للقضية الفلسطينية والشرق أوسطية.

لقد بذلت الدكتورة فهمية شرف الدين جهدا في جمع شتات موضوع بهذا الاتساع في صفحات قليلة، مما جعلها تلجأ بالضرورة إلى تدقيق التصنيف والإحالات، حيث كان الأمر يتطلب التوقف، لكن تبسيطها لمنهج التفكيك والتركيب المستقر في ثقافات تتغير فيها المناهج نتيجة تغيرات بنيوية حقيقية لتطبقه على مجتمعاتنا المتحجرة بعوامل التخلف والاستبداد جعل التفكك والتركيب ليس نتيجة "الانهيارات"، كما رصدت هي نفسها، أو وفق عملية عقلية نخبوية في النهاية.

المعرض الأول لكتاب المرأة العربية

معركة تحرير المرأة ليست معركة بينها وبين الرجل

العلاقات غير متكافئة بين الجنسين عبنا عليهما معا

نضال المرأة العربية للتحرر هو نضال للرجل أيضا

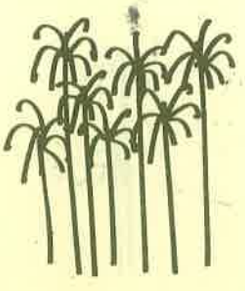

باحثات

الكتاب الأول ١٩٩٤/١٩٩٥

الناشر / تجمع الباحثات اللبنانيات / بيروت / ١٩٩٤ / ٣١٢ صفحة

مراجعة / د. هدى وصفي

في مقدمة الكتاب التي كتبتها دلال البزري تساؤل عما نريد؟ وربما في قولها "مقارعة البديهيات" تلخيص لما ستحاول الباحثات الإجابة عنه سواء في محاولة إعادة تعريف بعض المفاهيم أو الاهتمام الجدي بالبحوث الميدانية وبالتنظير ذلك إن الجهد التجريدي مطلب لا بد منه.

وتجدر الإشارة هنا إلى الإسهام أو الدعم المالي المقدم من مؤسسة فورد الأمريكية. وقد يثير ذلك بعض التحفظ عند المتلقي وقد يتساءل عن حدود "التوجيه".

بعد المقدمة هناك تعريف بتجمع الباحثات اللبنانيات وإشارة إلى الندوة التي عقدت في باريس العام ١٩٨٧ ونشرت أبحاثها تحت عنوان : المرأة اللبنانية شاهدة على الحرب. والتجمع عبارة عن مجموعة من الباحثات –نحو عشرين– متخصصات في العلوم الإنسانية والاجتماعية وبعض التخصصات الأخرى، تجتمع مرة كل شهر، من أجل التبادل الفكري وتنظيم ورش العمل والإعداد للكتاب السنوي ثم التعاون في الأمور الإدارية. والتجمع يرحب بالباحثات غير العضوات الراغبات في تقديم يد المعونة.

المحور الأول في الكتاب عن: المرأة والسلطات، يتوزع على مقدمة وست مداخلات منها واحدة باللغة الفرنسية تدور حول السلطة على الجسد، سلطة الجسد، وأخرى طاولة مستديرة عن المرأة والسلطة في الدائرة العائلية المنزلية وفي دائرة العمل.

في المقدمة محاولة لتقديم خلفية نظرية ترصد الدائرة الأولى لوضع النساء وهي الدائرة المحددة بالخاص والموضوع وكيفية تحولها في مرحلة تالية إلى دائرة العام ووظيفة "الذات"، وهناك تساؤلات عن إمكانية القيام بأبحاث تغطي تلك الموضوعات من الوجهة التاريخية ربما من خلال إعادة قراءة نصوص كلاسيكية أدبية مثل (ألف ليلة وليلة) أو نصوص أنثروبولوجية، ومن الوجهة الآنية أيضا، من خلال بحث نظري أو تحقيق ميداني يتناول الجنسية أو جنسية الخطاب أو النص أو الإيماءة أو السلوك ... إلخ، واستشراف تصورات أخرى ربما تصبح طوباوية مثلها مثل غيرها، على حد تعبير المقدمة.

في مقال "ذوات الفروج يركبن السروج" قوة شهوات النساء –أفكار– محاولة لقراءة في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وتعليق على أكثر من عشرين خبرا جاء ذكرها في نص الأغاني المعروف باعتنائه بأخبار النساء من مغنيات وغيرهن. وفي الأخبار الأربعة الأولى، صورة للنساء تقدمهن أضداد القوم ولحمتهم ومسكنهم. وتنم الأخبار عن أن القيد على شهوة النساء ليس من النساء أنفسهن. ويستشهد البحث بدراسة جيل دولوز وفيلكس جاتاري: النقض على أوديب L'Anti-Oedipe في أن الرغبة ظاغنة أو بادية (من الرحلة ومن البداوة والبدو) فلا تكاد تخرج المرأة العربية من نفسها وجسمها وأهلها حتى تجمح إلى أقاصي هذا الخارج وتشتط في العشق. ويتضح من التعليق على الأخبار أن المؤلف –الأصفهاني– ينزل ما يروي وينقل عن ألفة بينه وبين النساء ولا يتعدى هذا إلى استنباط المعاني وينسج الأخبار على منوال الآثار والحديث. وفي مداخلة "الكوبل: نمط آخر من الزيجات في بداية السبعينات" نظرة مغايرة للذات والتقليد، وهي الثانية في ترتيب المحور الأول، نقلة معاصرة تحاول أن تنظر مفهوم "الكوبل" أي ارتباط اثنين في المجتمع الحديث. وتتبعها المداخلة الزواج – الأسرة، العرس : استعراض عام لجسد حميم أو خاص، المهر؟ لماذا؟ العمل: فصل الأمكنة من أجل فصل الأزمة، المرأة – الأم ، المرأة – المرأة: هل يمكن الجمع بينهما، الخصوصية – الحميمية، العزلة.

والمداخلة بها مقارنة بين ما هو مطروح في الغرب وما نجده في الشرق، وربما نرى بعض التعسف فيما جاء في صفحة ٥٣ عندما يشير البحث إلى أن المرأة تفقد اسمها في الشرق لتصبح أم فلان، ذلك إننا نعلم أن المرأة في الغرب تفقد اسمها بالزواج لتأخذ اسم الزوج. والبحث يقدم دراسات جيدة في جانبه المتعلق بالغرب في حين نستشعر كما جاء من قبل في مقدمة الكتاب النقص في الأبحاث العربية التي لها العمق والدلالة نفسيهما.

أما التساؤل عن: "لكن مَنْ الذي يمسك بزمام الأمور؟" فهو صياغة فنية لنص أدبي على شاكلة السيرة الذاتية أرادت به مي غصوب أن تبلور تجربة نسوية من شأنها أن تؤكد قوة المرأة وقدرتها على الإمساك بزمام الأمور في نهاية المطاف.

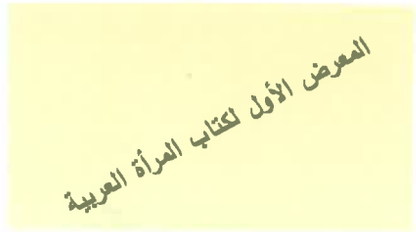

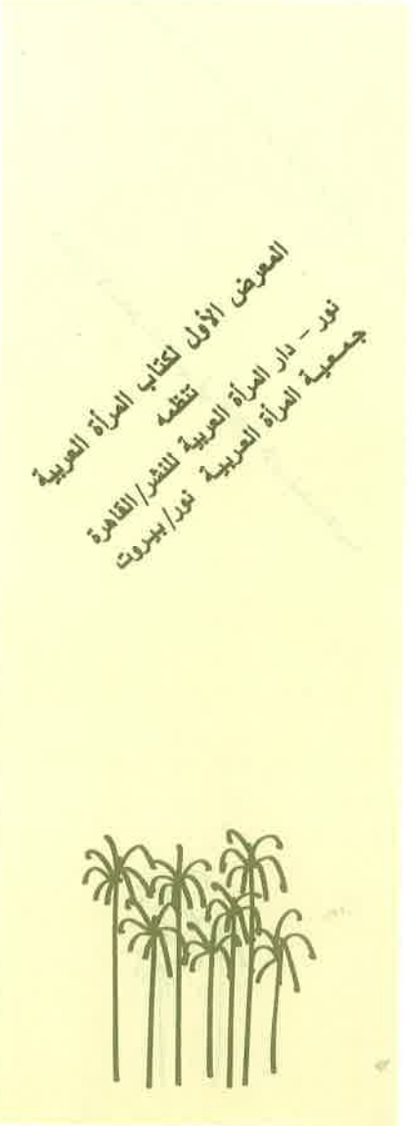

ترصد دلال البزري في "طوق الإسلام الجديد" التعايش العجيب لمجموعة من السلوكيات المتضاربة أو العواطف أو المتطلبات شبه المسكوت عنها وتقدم من خلال جلسة اجتماعية صورة لنماذج من النساء متشكلة حسب منظومة أفكار وتصورات لا تمثل جدلا أو اشتباكا مع الواقع بقدر ما هي خاضعة لسلطة تصورات عن "السلوك الإسلامي" المفترض.
وتحاول البزري الإجابة عن مجموعة تساؤلات علها تجد فيها الإجابة عن المعاش الحالي، منها ماهو مصدر سلطة الإسلامية السياسية على مخيلة النساء؟ ماهي مقدمات الدعم التي تجدها تلك السلطة في البنية العامة؟ ماهي حدود هذه السلطة؟ وماهي تجلياتها الأساسية؟ وفي المصادر ترصد المرجعية والتمثيلية وفي المقومات ترصد روح العصر والابتزاز بالهوية، وفي الحدود نجدها تحددها بالرغبة الجنسية لدى الرجل، وفي التجليات عن فكرة "المثل الأعلى" أو القدوة. وبين التساؤل والرصد يتعين على المتلقي أن يعمق البحث.
أما الطاولة المستديرة في المحور الأول فهي مجموعة نقاشات جول المرأة والسلطة في الدائرة العائلية المنزلية وفي دائرة العمل، أتبعتها مارلين نصر بملحق عبارة عن أسئلة طرحت على الباحثات. والطاولة المستديرة تجمع خمس باحثات لبنانيات ومصريات انطلقن في المناقشة كل من تجربتها الخاصة.
في المداخلة الفرنسية التي وقع بها بعض الخطأ من حيث ترتيب الصفحات حيث يعقب الخاتمة المدخل، نرى ماري تريز بدوي اهتمت بمكونات الإدراك لجسد المرأة وبعدها حاولت رصد المسافة بين الهيئة الجسدية والصورة عن الجسد ثم ولجت إلى السلطة المضادة لجسد المرأة وذلك في بحثها المعنون: السلطة على الجسد – سلطة الجسد.
المحور الأول حاول في مجمله أن يبلور مفهوما عن علاقة المرأة بشتى السلطات التي تتعرض لها أو تعايشها أو تنشها. وفي الجزء الثاني من الكتاب مجموعة من الأجواء المختلفة تجمع بين البحث والإحصاء منها مداخلة فادية حطيط "الشخصية الأنثوية اللبنانية –تمايزات الواقع وتغييرات التمايز" وهي دراسة في مراحل الشخصية– الأنثى وتشكل الوعي بخصوصيتها وصعوبة بلورة الفردية من خلال بحث ميداني اعتمد على عينات من الأطفال مسلمين ومسيحيين بين سن السابعة والتاسعة. وتطالعنا بعد ذلك منى تقي الدين أميوني بدراسة باللغة الإنجليزية عن الشاعرة ايتيل عدنان ومشروعها الفكري من خلال مراحل تكوين شخصيتها متتبعة طفولتها في بيروت ثم تجوالها في العالم إلى أن أصبحت الكاتبة والشاعرة والمناضلة التي نعرفها اليوم.

وتقدم تينا أشقرن في "ثمن النشوز" وهو رصد لحالة من حالات العنف المنزلي، شهادة إحدى المطلقات، وتشير إلى أهمية اعترافات هذه المرأة خصوصا أن هناك مجموعة من النساء أدركن شيوع مشكلة العنف المنزلي في لبنان وتقدمن بطلب تأسيس جمعية لبنانية لمناهضة العنف ضد المرأة كما أوضحت الباحثة.
ومونوجرافيا أخرى يطالعنا بها عباس بيضون في تقديم للفنانة سلوى روضة شقير بعنوان "تحت الداخل" والفنانة النحاتة التي تبلغ اليوم الثامنة والسبعين تعتبر من رواد الحركة التشكيلية النسائية في العالم العربي.
أما جينان ملاط فهي تكتب بالفرنسية تحت عنوان لا وجود للسيد (أو مرض فقدان المناعة) قصة حب لغتها الشعرية تجعلنا نعجب بالتضحية المبذولة من قبل امرأة أحبت، كما نعجب في الواقع بسلاسة اللغة المكتوب بها النص الفرنسي.
الجزء الثالث من الكتاب عبارة عن زاوية خاصة بالإحصاءات ارتأت هيئة التحرير إدراجها في الخطة العامة للكتاب، ذلك إن صعوبة الوصول إلى إحصاءات وثيقة جعلت الباحثات يطرحن السؤال على د. كمال حمدان الذي حاول الإجابة من خلال رصد ما سماه: تجربة لبنان في المجال الإحصائي: الدروس والعبر.
الجزء الرابع المعنون أدبيات يتتبع بعد السؤال الأول : لمن تكتبين؟ أجوبة بعض الأدبيات سواء باللغة الفرنسية كالإجابة الأولى أو بالعربية وتلك المقتطفات (ليست طويلة ولا تزيد على صفحتين أو ثلاث) تحاول فيها الأدبيات رصد المتلقي الذي يتوجهن إليه بكتاباتهن. والكاتبات هن: ندى نصر، ندى رمضان، هدى بركات، نازك سابا يارد، إميلي نصر الله، هناء الأمين خاتون.

في الجزء الخامس "باحثات شابات" هناك بعد التقديم مداخلة من نجاح عطية : "محمد حسين هيكل والدعوة إلى الأدب القومي المصري حتى ١٩٣٢"، و "صورة الغرب كما رآه الطهطاوي" (ريما منير لبّان)، وبالإنجليزية (هبة حبور) "الطقوس التقليدية والأضرحة"، وبالفرنسية (جمانة حايك وفرانسواز غريب) "من الطاقة الكونية إلى إرادة العيش" و "النساء والخصوبة"، وريما عقاد سلام تبحث في قضية المرأة من الجبرتي حتى قاسم أمين، ثم يختم هذا الجزء الأخير بـ "الخطاب الصحفي اللبناني حول التطورات الاجتماعية–الاقتصادية لحرب الخليج الثانية في العراق والكويت من ١ كانون الثاني وحتى ٣ حزيران ١٩٩١".
ومثلما أسلفنا فإن الكتاب يضم مجموعة وثائق لخالدة السعيد وليندا مطر ولور مغيزل وإميلي نصر الله وإلهام كلاّب وبولا شرارة وسلام مرتضى الحسيني، وتلك الوثائق ينشرها الكتاب لأنها تكريم لراحلة قامت بدور إيجابي في النضال

المعرض الأول لكتاب المرأة العربية

جائزة لأفضل كتاب في العلوم

جائزة لأفضل كتاب في الإبداع الأدبي

جائزة لأفضل كتاب في العلوم الاجتماعية

النسائي وماتت وهي متحسرة على ما آل إليه الوضع في بلادها، هذه الوثائق تنشر تكريما لجانين ربيز "التي أدخلت حلم الحرية في بيتها وقلبها وخيالها" كما يقول التقديم (ص٢٦٣)، وهي وثائق تبحث في شتى الموضوعات من الدور الاجتماعي والاقتصادي الذي يلعبه العمل المنزلي مرورا بهل تعتبرون وجود تطور الآلات الكهربائية عنصرا مهما في عملية تحرير المرأة وحتى حسنات وسيئات العائلة النواتية والعائلة العشائرية.

والكتاب جهد متميز وخلاق في حقل الدراسات النسائية بل في حقل الدراسات الاجتماعية ككل. ويحسب للباحثات اللبنانيات هذا التوافر على رصد المعاش وإحياء الماضي واستشراف مستقبل ربما لا يكون موغلا في التوقعات الطوباوية كما تخشى الباحثات.

المجتمع الفلسطيني

في غزة والضفة الغربية والقدس العربية

بحث في الأوضاع الحياتية

جماعة من الباحثين الفلسطينيين والنرويجيين

بمشاركة د. ريتا جقمان وريما حمامي وهلفة برنبورغ وكاميلا ستولتنبرغ

الناشر / مؤسسة الدراسات الفلسطينية / بيروت / ١٩٩٤ / ٤٦١ صفحة

مراجعة / د.نادر فرجاني

لا تفي مراجعة سريعة كهذه بحق دراسة ميدانية ضخمة ومهمة كتلك التي قامت عليها مؤسسة "فافو" النرويجية مع نخبة من الباحثين الفلسطينيين، يضم كتاب "المجتمع الفلسطيني" بعضا من نتائجها. والكتاب ترجمة للتقرير الذي أصدرته "فافو"، بالإنجليزية، في العام ١٩٩٣.

نتوقف هنا عند أمور ثلاثة. فقد أصبح القيام بدراسات ميدانية كبيرة في البلدان العربية، للأسف، رهنا بتوفر التمويل من جهات أجنبية. وبدون الوقوع في هوس المؤامرات الأجنبية، فإن هذا يشكل قيدا على إنتاج المعرفة عن المجتمعات العربية. وأحد مظاهر هذا القيد، هو تأخر صدور التقرير بالعربية عن نظيره باللغة الأجنبية. والأمر الآخر هو قلة سلاسة الصورة العربية (وبعض الأخطاء مثل ترجمة INPUT إلى دخل) برغم الجهد الضخم الذي بذل في الترجمة. وكان الأفضل، في تقديري، تعريب التقرير من خلال إعادة كتابته، باللغة العربية، من قبل الفريق الفلسطيني.

يعود تاريخ التفكير في إجراء الدراسة إلى ١٩٨٩. لكن العمل الميداني أجري على ٢٥٠٠ أسرة فلسطينية، في صيف ١٩٩٢، في غزة (١٠٠٠ أسرة) والضفة الغربية (مثلها) والقدس العربية (٥٠٠ أسرة). ومن محاسن الكتاب أنه أظهر التفاوت فيما بين المجتمعات الجزئية الثلاثة في كل موضوعات الدراسة.

وتدل محتويات الكتاب، وإجراءات البحث الموصوفة، على مستوى مرتفع من الجودة وهو أمر يحمد كثيرا.

ويقع الكتاب في عشرة فصول وثلاثة ملاحق فنية، بالإضافة إلى بعض الجداول التفصيلية.

وتعبر موضوعات الفصول عن الثراء العريض لموضوعات المسح الميداني: التشرذم والاحتلال، الاتجاهات والسمات السكانية، السكن، الصحة، التعليم، الدخل والثروة، العمل، التراتب الاجتماعي، الآراء والمواقف، النساء. وهذه هي الفضيلة الأكبر لهذه الدراسة: نظرة تكاملية للمجتمع الفلسطيني تتعدى حدود التقسيمات المهنية والدراسية الضيقة إلى محاولة اقتناص حركية مجتمع مركب ذي خصوصية واضحة. وقد أفلحت الدراسة في هذا المنحى كثيرا. ولا يتسع المجال لعرض، أو تقييم، تفصيلي لمضمون الكتاب. ولكن لا بأس من إشارات عابرة.

يضع الفصل الخاص بتحول المجتمع الفلسطيني: التشرذم، والاحتلال، والتشكيلة الاجتماعية الفلسطينية في سياقها التاريخي والسياسي، ويوفر خلفية لا غنى عنها للتمعن في مضامين الفصول التالية.

ويحتوي الفصل التالي له على دراسة تفصيلية للنواحي السكانية، بما في ذلك تكوين إسقاطات بديلة للتطور المتوقع في حجم سكان الأراضي المحتلة.

ويبين الفصل الخاص بأحوال السكن، على مؤشرات عديدة، التفاوت الواضح في مستوى المعيشة بين المخيمات

والقرى، خاصة في غزة، من جانب، والمدن من جانب آخر.
وبالإضافة إلى المؤشرات العادية للصحة، يتميز الفصل الرابع بدراسة جيدة لمسألة الضيق النفسي، وعلاقتها بمتغيرات مهمة في الوضع الفلسطيني مثل اعتقال أحد أفراد الأسرة.
وفوق وصف التحصيل التعليمي وتفاوتاته، يوثق الفصل اللاحق العلاقة بين التعليم والحركة الاقتصادية والاستقلالية والشعور بنفوذ الشخص في الأسرة وفهم النزاع ومنزلة المرأة.
ويعالج فصل آخر التفاوت في توزيع الدخل والثروة فيما بين الأسر الفلسطينية في المجتمعات الجزئية الثلاثة، ويتعرض على وجه الخصوص للتغير في دخل الأسر منذ حرب الخليج وما تبعها من تطورات على صعيد الهجرة الفلسطينية.
ويتمحور الفصل الخاص بالعمل حول أحد القضايا الجوهرية في الاقتصاد السياسي الفلسطيني وهي قلة فرص العمل في الاقتصاد المحلي وضرورة العمل في إسرائيل، وطبيعته.
وينشئ الفصل التالي له مقياسا مركبا للتراتب الاجتماعي على مؤشرات التعليم والعمل وحيازة السلع الاستهلاكية المعمرة وخصائص السكن، وهويؤكد، بشكل أشمل، زيادة تدني المستوى الاجتماعي والاقتصادي في غزة، واتساع شقة التفاوت الاجتماعي في غزة والضفة الغربية عن القدس. ويتميز هذا الفصل، بالإضافة إلى التحليل المتعدد الجوانب، بربط مؤشرات التراتب الاجتماعي بامتلاك الثروة وبعض المواقف الاجتماعيةوالسياسية مثل اللامساواة والنفوذ.
ويمثل الفصل الخاص بالآراء والمواقف واحدا من أكثر أجزاء الدراسة جدية وفائدة، حيث يتعرض لقضايا وضع المرأة، والانقسامات الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني، والمواقف الدينية والسياسية (بما فى ذلك موضوع الولاء)، وتقييم الماضي، والمستقبل، حسب متغيرات تقسيم مهمة كالنوع والعمر ومحل الإقامة.
ولا يقف الفصل الخاص بالنساء عند الأمور التقليدية مثل الموقف من الزواج والعمر عند الزواج، ولكن يدخل نطاق ملكية الأصول الاقتصادية، وشبكات الدعم غير الرسمي (المساعدة من الأسرة والأصدقاء)، وحرية الحركة، والعمل.
باختصار، هذا كتاب مهم، يقوم على دراسة رصينة وغنية، ويتعين أن يكون مادة للدراسة الجادة، وللنقد البناء، لكل المهتمين بالمجتمعات العربية عامة، والمجتمع الفلسطيني بوجه خاص.

والأهم من القيام بدراسة جيدة هو استخلاص أفضل النتائج منها، ونشرها على أوسع نطاق، والاستفادة منها، وتطويرها في دراسات تالية. ولي على كل من هذه المحاور ملاحظات.
إذ يبدو أن تقرير الدراسة لا يستقطر كل إمكانات التحليل والاستخلاص من قاعدة البيانات الهائلة التي نجمت عن الدراسة. فعلى سبيل المثال، يفتقر التقرير إلى تحليل متعدد المتغيرات، على المستوى الفردي، يجمع فيما بين مجالات التحليل التي تبلورت، في الأساس منفردة، في فصول التقرير. وخبرتي أن التحليل المعمق لمثل هذه البيانات يستغرق فريقا بحثيا سنوات عدة. والأمل أن يكون هذا الجهد قائما فعلا الآن، أو أن يقوم قبل أن يفتر الحماس، أو تتقادم المرجعية الزمنية للبيانات كثيرا.
وفيما يتصل بالنشر، فإن كتبا رصينة مثل هذا الكتاب، لا تلقى اهتماما إلا من دوائر محدودة. ولكي يصل فحوى تقرير الدراسة الذي يعرضه الكتاب إلى متخذ القرار أو المثقف العام، هناك حاجة إلى أشكال أكثر سهولة، وأسرع هضما، مثل ملخصات وافية، ومناقشات عامة في مؤسسات جماهيرية، تتوفر على ساحة العمل الفلسطيني الأهلي.
ونتمنى أن يقع كل ذلك على نطاق واسع، تعميما للفائدة، ونقدا للدراسة ونتائجها، وإنضاجا لمقترحات دراسات تالية.
وإذا قامت مناقشة جادة لمثل هذه الدراسة في المجتمع الأهلي الفلسطيني المتطور، فإن هذه فائدة كبيرة تتمخض عنها الدراسة. ولكن السلطات الحكومية في البلدان العربية تمسك بمقاليد الأمور بدرجة تؤدي إلى تهميش القيمة العملية لما لا يصل إليها، وتوظفه، من معرفة، وقد زاد دور "السلطة" في مجريات الحياة الفلسطينية مؤخرا. ولنا أن نتساءل عن مدى اهتمام السلطة الفلسطينية بمثل هذه الدراسة عن المجتمع الفلسطيني، في خضم مشاغلها الخارجية والأمنية.

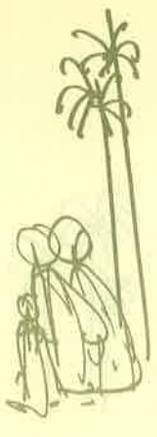

وفي النهاية، فإن القيام بدراسة مهمة، تبقى واحدة في الزمان، يعبر عن ضعف بنية إنتاج المعرفة في البلدان المتخلفة، ويشي بقلة أهمية هذا الإنتاج في هيكل القوة القائم. والأمل أن يلي هذه الدراسة الممتازة سلسلة من دراسات مماثلة، ولكن أغنى، على فترات زمنية غير متباعدة تتابع التطورات المتلاحقة في بنية المجتمع الفلسطيني، خاصة مع التغير في بنية السلطة في الأرض الفلسطينية المحتلة.
ونتمنى أن يكون هذا الهدف على جدول أعمال المجتمع البحثي الفلسطيني، والسلطة الوطنية، والإخوة النرويجيين(!).

فصاحة الصمت في شأن المرأة الجزائرية

مرنية الازرق

الناشر: روتليدج/ نيويورك ولندن / ١٩٩٤

مراجعة: د.ليلى أبو اللغد

ترجمة: د. محجوب عمر

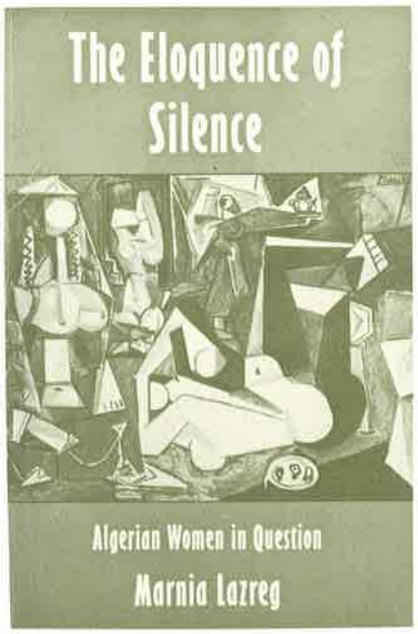

لهذا الكتاب عنوان رائع قصد به لفت الإنتباه للدلالات العميقة لصمت المرأة الجزائرية في المجال العام وفي السجلات التاريخية، ويشير كذلك إلى عزم الكاتبة إعلاء صوت المرأة الجزائرية بالكشف عن تاريخها.

تبدأ الازرق بتقديرها بأن المرأة الجزائرية قد عانت ظلما تاريخيا عظيما وتمضي في متابعة ما يمكن أن نعرفه عن حياتها وخبراتها منذ ما قبل العصور (الكولونيالية) الاستعمارية، وقبل غزو فرنسا للجزائر عام ١٩٣٠ (عندما كان هناك تنوع إقليمي كبير في حياة المرأة)، وعبر الغزو (عندما أصبحن جميعا «فاطمة»)، ثم إرساء أسس النظام الاستعماري (عندما تم إفقارهن وإخضاعهن وتحويلهن إلى مومسات)، ثم تطور القومية الثقافية، والنضال المعادي للإستعمار (مع إشتراك المرأة بنشاط وشجاعة وإن نظرت إليهن القيادة فيما بعد بمعيار قدراتهن على التضحية)، ثم ما بعد الإستقلال. أما في المرحلة المعاصرة فإنها تغطي سياسة الدولة والجدل حول القوانين التي تحكم المرأة والأسرة ونهوض الحركة الإسلامية وحركة المرأة، ومصادر الأعراف والممارسات الإجتماعية المتناقضة، وتطور الدراسات النسوية.

هناك الكثير مما هو قيّم في هذا المشروع. فلم يحاول أحد من قبل أن يجمع في كتاب واحد كل هذا الكم من المادة الخاصة بأوضاع المرأة الجزائرية. إن مقولتها بأن المرأة ليست ببساطة «مقموعة» وإنما هي على الدوام نشطة تحاول وتستجيب لتحقق ذاتها، تستحق النظر. إن إصرارها على أن القيم الدينية المتعلقة بالمرأة، (الإسلامية) مثلا تستعمل في مفاصل تاريخية معيّنة إصرار مقنع، وإن يكن بالكاد مبتكراً. وقد كشفت عن مادة مثيرة حول عدد متنوع من المواضيع .. حول تجمعات محلية معينة في الجزائر في الماضي، وعن الأيديولوجيا والتطبيق في التعليم الفرنسي للبنات وعن الألاعيب والطقوس الخاصة بالمرأة الجزائرية خلال الأزمنة الإستعمارية. بل أنها تطرح حجة محيّرة تقول بأن زمان المرأة خاص لكونه غير مرتبط بالتقويم الفرنسي مختلف عن زمان الرجل وكذلك مختلف عن زمان المستعمرين، ومن ثم كان ذلك مصدراً للإستقلالية الذاتية الثقافية.

ومع ذلك، فإن عددا من المشكلات يخل بهذه الدراسة ويقوّضها. المشكلة الأولى تكمن في أن مدى الدراسة واسع جدا وكذلك فإن المنهجية المتبعة سطحية جدا. فمن المستحيل تغطية ما يقرب من مائتي عام من التاريخ وتغطية كل النساء بشكل دقيق. وكل ما يمكن أن تستطيعه السيدة الازرق هو مناقشة الموضوعات بطريقة متناثرة مفككة معتمدة على مصادر (الكثير منها فرنسي) مشكوك في قيمتها. وهي ليست مؤرّخة ذهبت إلى الأرشيفات وحللّت السجّلات، ولا حتى جمعت التاريخ الشفهي، ولاهي قامت بأي عمل منتظم حول المرحلة المعاصرة. لم تكن لقاءاتها منتظمة أو مكثفة. وعلى الرغم من أنها قدمّت لنا خدمة بلفت أنظارنا الى أعمال عدد من الدارسين والمثقفين الجزائريين الذين لم يكن من الممكن أن يعرفوا خارج بلدهم، فإن ذلك ليس كافيا.

وربما كانت المشكلة الأكثر خطورة هي في تحليلاتها المبسطّة. ولو أنها كانت أقل رفضا لكل الدارسين والمقيمين في الغرب والمنظرات النساء (مجهولي الأسماء عادة)، لربما كانت قد قرأت وتمعنت واستندت إلى أعمال نظرية أكثر تقدما قام بها مؤخرا عدد من المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا حول بعض المواضيع المحددة التي تتعلق بشكل محوري بدراستها عن المرأة الجزائرية: تحليلات الإستشراق والخطاب الإستعماري (أدوارد سعيد وهومي بهابة على سبيل المثال) وهو ما كان يمكنها من إستعمال المصادر الإستعمارية بشكل نقدي أكثر ويجعل حجمها حول صورة المرأة الجزائرية أكثر دقة ورزانة، وكذلك العمل على ما جرته الإستعمارية (الكولونيالية) مما كان يمكنها بشكل أفضل من تحليل التحولات.. فيما بعد الإفقار والعنف.. وما أحدثته (تيموثي ميتشيل، مثلا). وحتى العمل الخاص بالنوع (Gender) وبالقضايا الجنسية في تكوينات إستعمارية أخرى(آن ستولر، وبارتا شاترجي، مثلا) والنضالات القومية (دينيز كانديوتي، مثلا) التي كان من الممكن أن تجعلها أقل سذاجة سواء حول علاقة الرجل أو المرأة الفرنسية مع المرأة الجزائرية أو علاقة الدولة الجزائرية بها. ولو أنها اهتمت بالفعل بقراءة أي عمل حديث حول الأعراق أو الأجناس وعلاقتها بالمرأة وجنسها في مجتمعات عربية أخرى لربما كان في إمكانها أن تتمعن في الحياة اليومية للمرأة التي تزعم أنها تريد إعلاء صوتها.

أخيرا، وعلى الرغم من زعمها بأن كتابها هذا هو للمرأة الجزائرية الشابة (التي لا يمكن أن تقرأه بالطبع قبل ترجمته

المعرض الأول لكتاب المرأة العربية
مسرح الهناجر / دار الأوبرا / القاهرة

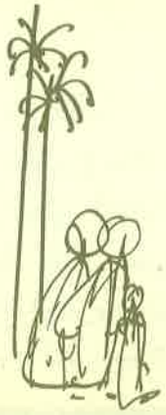

إلى الفرنسية أو العربية) فإن الازرق تقدم كتابها على أثر حجة ضد الأكاديميين الغربيين والمنظرات النساء وهي تبدأ بحملة عنيفة ضدهم بسبب أراءهم في المرأة في الثقافات الأخرى. ومع ذلك فهي لا تذكر بالإسم سوى إثنتين من المنظرات النسويات. وفي أقصى هجوم جاف لها على الطريقة التي يتم بها التعميم حول المرأة العربية، فإن الأمثلة التي قدمتها بالفعل لم تخرج عن عنوانين لكتابين من تأليف كاتبتين عربيتين، ليستا أمريكيتين، وهما: فاطمة المرنيسي ونوال السعداوي. ويبدو أنها لا تتابع حتى الأدبيات الخاصة بالمرأة في الشرق الأوسط.

وفي استحقاقها العام لزملائها ونظرائها تصل الازرق إلى حد تصوير عالمات الإجتماع والدراسات النسوية تصويرا كاريكاتوريا وكذلك فعلت مع الأدبيات العلمية الاجتماعية. لقد حوّل هاجسها الملّح بهذه الأشباح أنظارها عن المهمة التي وضعتها لنفسها. ان المرء يخرج من هذا الكتاب بشعور عام حول كيف أثرّت الأحداث في تاريخ الجزائر على المرأة ولكن بقليل من التبصّر والتمّعن فيما كانت تفكّر فيه المرأة وتشعر وكيف تمايزن واختلفن. وبدلا من جعلها فصيحة وبليغة أسكت صوت الغضب عند الازرق نساء جزائريات أخريات وانتهى الكتاب دون أن يتحقق الوعد الذي يلبئ به عنوانه.

دعوة للمشاركة

نور - دار المرأة العربية تدعوكم للمشاركة

نور - تدعوكم لأول معرض لكتاب المرأة العربية

نور - تدعوكم إلى القاهرة من ١٦-٢٠ نوفمبر ١٩٩٥

نور - تدعو الناشرين / الباحثين / الكتاب

للحصول على معلومات إضافية أو استمارة الاشتراك نرجوكم الكتابة إلى
نور - دار المرأة العربية / لجنة المعارض / ٩ شارع مديرية التحرير / جاردن سيتي - القاهرة

دعوة صداقة

مشروع إلعب .. إلعب .. إلعب وتعلم.
أول مشروع متكامل لتعليم أطفالنا بصريا وفنيا.
لكي نسترد أولادنا ولكل العرب صبيان وبنات من ٤-٦ سنوات.
مجلة «نمر» حلم في عشرة أجزاء.
يحتاج المشروع إلى أصدقاء وصديقات ليتحقق ويتحول الحلم إلى واقع.
لمعلومات أكثر تفصيلا إتصل بالفدان عدلي رزق الله ٥٥ ش طومانباي / سراي القبة ت ٢٥٨٧٧٧١

مراجعات في الأدب

حبات النفتالين

عالية ممدوح

الناشر / مختارات فصول / ١٩٨٦ / ٢٠٠ صفحة

مراجعة / د. لطيفة الزيات

نتلقى الحدث في هذه الرواية العراقية القيّمة من وجهة نظر راوية تستعيد زمن طفولتها ومراهقتها في حي عراقي قديم وأصيل هو حي الأعظمية. وزمن الطفولة والمراهقة يشكل وحدة الحدث العامة الحبلى بكل المتناقضات. وفي ظل هذه الوحدة العامة تتعدد الأزمنة وتختلف وتتراكم دونما استطراد تاريخي تقليدي، إذ إن الحدث يواتينا من تيار الشعور للراوية. ويتيح لها تيار الشعور هذا أن تنتقل زمانيا ومكانيا في ظل الفصل الواحد في الوقت الذي يتقدم فيه الحدث إلى الأمام زمانيا منتقلا من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة.

واستخدام تيار شعور الكاتبة يتيح للكاتبة إمكانيات هائلة في رسم لوحات بارعة الجمال ومتعددة تشكل وحدة السرد في الرواية، ومن هنا وهناك تلتقط الكاتبة تفاصيل اللوحة وهي تتكامل، من وصف أو حديث عابر، من هاجسة من الهواجس من مشهد ما يعلق بالذهن، فيتكامل من خلالها المشهد الذي تسعى إلى تكريسه، أو اللحظة النفسية التي تسعى إلى بنائها. وتيار الشعور يتدفق مثلما يتدفق في الحياة بلا ترابط جلي أحيانا.
والراوية ترتحل وهي مراهقة إلى كربلاء لتزور مقام الحسين، ولتصل ما انقطع من روابط مع أبيها المشرف على سجن المدينة. وتتعدد الأماكن غير إن حي الأعظمية الحي الذي ولدت فيه الشخصية يبقى البطل، تبدأ به الرواية وتنتهي حين يهدم المكان الذي ولدت فيه في حي الأعظمية.

ولب الرواية هو الحياة في هذا البيت وهذا المكان حياة هادئة صاخبة محرومة ماليا ومتحققة نفسيا أحيانا، مليئة بالحب بمدى امتلائها بالكراهية، عامرة بالإحباط خاصة الإحباط النسوي على كل المستويات: أم الراوية تموت بالسل بعد أن يهجرها زوجها مدير سجن كربلاء إلى زوجة جديدة يحملها طفلا، عمة الراوية الجميلة تتزوج بعد لأي، ويهجرها الزوج المحبوب بدون أن يمسها بلا سبب معروف، ولا تستقيم لها من بعده حياة، وحين يعود تتفجر حمما وتكاد تقتله، خالات الراوية يمارسن العلاقات الجنسية المثلية والبيت بيت بلا رجال على الإطلاق، الرجال ارتحلوا إلى الموت والنأي والحياة تمضي برغم كل شيء، تجلله هذه الدمعة أو هذه الإشراقة، صحبة الصغار وفرحتهم بالصحبة، واكتشافهم للناس والأمكنة الجديدة، حب الجدة الذي يشمل الجميع ويضمد جروح الجميع، يقظة الوعي واكتشاف الحب عند الراوية وغيبة المحبوب بعد قرب. والراوية التي تبدأ مدينة للأب المتنائي عن العائلة تنتهي بالتعاطف معه في هذه السماحة التي تسم الرواية بأكملها.

ولأن المكان هو البطل الحقيقي لرواية عالية ممدوح "حبات النفتالين"، تولي الكاتبة اهتماما فائقا بالوصف للأمكنة وللأشياء التي تضج بها الأمكنة حتى أصغرها، ويأتي الوضع بالعربية الفصحى وإن امتزجت بالعامية العراقية في الديالوج أو عن طريق استعادة الذاكرة لهذه الجملة أو تلك. وبمدى ما يستثير هذا الوصف أجواء بغداد ولون ورائحة ونبض بغداد بمدى ما يبلغ استخدام الكاتبة للعامية العراقية مرتبة الشعر. والرواية غنوة حلوة لأهل بغداد البسطاء، غنوة للأمكنة التي احتفظت بها الذاكرة وكرستها، غنوة لطفولة ومراهقة امرأة عراقية، وقد تكون الغنوة حزينة بعض الشيء وقاتمة بعض الشيء، لكنها تبقى غنوة تثير الشجن والفرح معا، تكرس ما كان كأنه كائن أمام أعيننا في هذا الزمان والمكان العراقي الخصوصية والموحي بالكثير من مستويات المعنى.

وبعد، فما إن انتهيت من قراءة هذه الرواية حتى تبين لي ضرورة إعادة قراءتها من جديد، وأسفرت القراءة الثانية عن ما لم تسفر عنه الأولى وهذا لا شك مقياس للأدب الجيد الذي لا يفقد قيمته على مر السنين، فقد صدرت هذه الرواية عن مختارات فصول للآداب ولم تحظ باهتمام نقدي، ولكنها مازالت إلى اليوم تحتفظ بجدتها وتعد بالمزيد من مستويات المعنى.

نساء وكلمات في السعودية

Women and words in Saudi Arabia

سياسة الخطاب الأدبي

The Politics of Literary Discourse

صديقة عربي

Saddeka Arebi

الناشر/ جامعة كولومبيا/ نيويورك/ ١٩٩٤/ ٣٥٧ صفحة

Columbia University Press, New York / 1994

مراجعة / د. أمينة رشيد

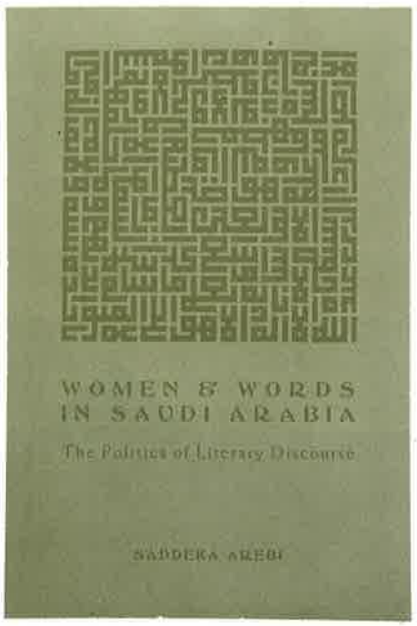

تطرح هذه الدراسة الممتعة، عبر التحليل الأنثروبولوجي للخطاب الأدبي، خصوصية كتابة النساء في المملكة العربية السعودية، بين القيود التي تفرضها الدولة والأعراف التي تمدها وتجمدها السلطة الدينية والعقبات المختلفة للحياة الاجتماعية. فالهدف الأساسي لأبحاث صديقة عربي هو تحليل الخطاب والسلطة التي يكتسبها في التشكيل الاجتماعي السياسي، فارضا عبر الكلام أيديولوجية سائدة. و «الكلمات» هي هنا تلك التي تكون الخطاب المضاد أو المغاير الذي تصدره الكاتبة السعودية منذ نهاية الخمسينات في مواجهة الخطاب السائد أو المركزي. تدرس الباحثة وتقدم هذا الخطاب عبر الترجمة الإنجليزية والتحليل النصي لبعض الصفحات التي رأتها مهمة، مصاحبة لسير حياة تسع كاتبات سعوديات: فوزية أبو خالد، رقية الشبيب، رجاء العالم، شريفة الشملان، خيرية السقاف، نجوى هاشم، جوهير المساعد، فاتنة شاكر، سهيلة زين العابدين.

عبر الأنواع الأدبية المختلفة لهذه الكتابة، من شعر وقصة قصيرة ومسرح ومقال تاريخي، صحفي أو فكري، يتميز هذا الخطاب بالموقف الواعي للكاتبة التي تسعى إلى اختيار موقعها من التراث العربي والإسلامي ومن تحديات الغرب ومن رقابة الدولة في آن واحد. تعيش الكاتبة السعودية في حصار مجتمع مغلق بينما يصلها التاريخ العربي المعاصر في حركته، مقاوما وساطعا أو محبطا مهزوما. لا يستطيع هذا الخطاب الأدبي، كما يتجلى من الشهادات المذكورة، أن يلعب لعبة الفن والجماليات المطلقة، يحاصره الواقع والتاريخ، ويطالب بدوره بأن يتحول إلى سلاح في إعادة كتابة التاريخ وفضح الواقع.

برغم الاعتزاز بأمجاد الماضي ترفض الكاتبة السعودية أن يكون الحاضر محكوما بالماضي كما ترفض الحنين إليه الذي يغزو لحظات الانكسار. في أفضل نماذجه وعيا وأسلوبا يرى هذا الخطاب أن النظرة إلى الماضي يحكمها الوعي بقضايا الواقع وتحددها رؤية المستقبل. تفتخر الكاتبة السعودية بأسلافها من نساء عظيمات في تاريخ الإسلام، خديجة أو عائشة، لكنها تربط بين البطولات القديمة وأفعال المقاومة التي قامت بها نساء عربيات معاصرات: جميلة بوحريد الجزائرية أو ليلى خالد الفلسطينية. ربما لا يكون موقف أولئك النساء المنتميات إلى الشرائح العليا للمجتمع موقفا ثوريا بالضرورة، ومع ذلك يرتفع صوت الكاتبة جسورا للفضح أو للتحايل على الخطاب الرسمي، في كتابته التبريرية لتاريخ المملكة المعاصر، كما تفعل فوزية أبو خالد في نقدها لدور مهرجان الجناديرية الذي يقوم بالتمجيد الأيديولوجي للحاضر المزدهر في مقابل الماضي التعيس لمجتمع ما قبل النفط.

يسعى أيضا الخطاب النسائي السعودي حسب الأمثلة التي تختارها صديقة عربي إلى موقف متميز عن النموذج الغربي، غير تابع له. تقول رجاء العالم إن دور المثقف هو إبداع ثقافة أخرى أي معارضة «ثقافة المركز» عبر ثقافة المحيط . ينبغي السعي إلى رفض التنميط حتى إذا أدى ذلك إلى تنميط آخر. ينبغي رفض حق «رقابة المعنى» الذي تنسبه السلطة إلى نفسها، سلطة الدولة أو العلماء أو الغرب. فإذا استخدمت شهرزاد الكلمات لإنقاذ نفسها وإنقاذ النساء الأخريات، كما تقول رقية الشبيب، فينبغي على المرأة العربية المعاصرة أن تشكل الكلمات التي تثبت موقعها في التكوينة الأيديولوجية الاجتماعية وأن تنشئ الخطاب المغاير الذي يعيد كتابة التاريخ والأسطورة. فإذا حدد

المعرض الأول لكتاب المرأة العربية
من ١٦-٢٠ نوفمبر ١٩٩٥

الخطاب النسائي الغربي موقع الصراع من أجل المساواة بين الرجل والمرأة فموقع صراع المرأة العربية يتحدد في صلب التاريخ العربي القديم والحديث، في إعادة كتابته وفهمه المتجدد لرموز شهرزاد وزرقاء اليمامة وبلقيس، في رفض الخطاب الأيديولوجي للسلطة والمفهوم الغربي للحقوق والواجبات.
لكن، برغم أناقة هذا الخطاب وتميزه الفكري، فمعاناة البشر وحصارهم في أفق يحجب المستقبل تبدو أكثر عمقا وفضحا للواقع في الخطاب الأدبي، عبر نماذج الشعر والقصة القصيرة والمسرح المختارة. في النماذج الأدبية تظهر آلام النساء وأوجاعهم وقسوة حياتهم عبر الصور الملحة لسجنها في مجتمع مغلق وتقاليد خانقة، وحدتها حتى الجنون والاغتراب، افتقادها للتواصل ولتحقيق الذات. لكن المسئول عن ذلك لا يشار إليه في هذه الكتابات على أنه الرجل أو الأسرة، بل تقاليد غير سليمة للزواج والمشاركة والوجود الإنساني تجعل من المرأة والرجل معا ضحايا لهذه الأوضاع. أكثر من الخطاب الأيديولوجي الذي يبدو أحاديا أحيانا تفضح الكتابة الأدبية عبر الشخصيات والحبكة واللغة المأساة العميقة لمجتمع تنقصه جميع شروط التحقق الإنساني والحرية والسعادة. لحماية طفلها من حرارة الشمس في الخارج تحتضنه الأم تحت عباءتها السوداء فتخنقه، هذا ما يظهر في قصة شريفة الشملان كرمز لفعل التاريخ والجغرافيا الذي يخنق الإنسان. ففي كتابتها وفي كتابات خيرية السقاف ونجوى هاشم يظهر بإصرار موضوع الثمن الباهظ الذي تدفعه المرأة لمجتمعها القاتل.

استخدمت صديقة عربي في هذه الدراسة المهمة المناهج المعاصرة لتحليل الخطاب بمهارة واقتدار. قارئة جيدة لميشيل فوكو وأدوارد سعيد وهابرماس، لا تقع مع ذلك في التبعية الحمقاء لمفاهيمهم وتستطيع أن تشكل بذكاء نسيجا حيًا من النصوص في ضوء تحليلها لكتابة المرأة السعودية ودراستها الدقيقة للظروف المحيطة بإنتاج هذه الكتابة، من مؤسسات تراقب المعنى وتحدد الكلام والفعل عبر سلطة الخطاب الرسمي للدولة وللدين. وإذا بدا هذا التحليل -أحيانا- منحازا عبر حنين الباحثة لوطنها الأصلي، متفائلا برؤيته لخطاب منسجم للكاتبة السعودية، يرى تناقضات المرأة والمجتمع فيما نسميه بثقافة «الكولاج» (أو اللصق)، فإننا لا نقرأ في النص دائما التوترات التي تصنعه، وقد استطاعت صديقة عربي مع ذلك أن تظهر إلى الضوء كتابات لا يعرفها الكثيرون وأن تعطي نموذجا عربيا مهما لمعرفة آليات سيطرة السلطة على النفوس عبر الخطاب، وإمكانيات إنشاء خطاب مغاير، عبر "كلمات" أخرى تعيد تشكيل التاريخ والوعي.

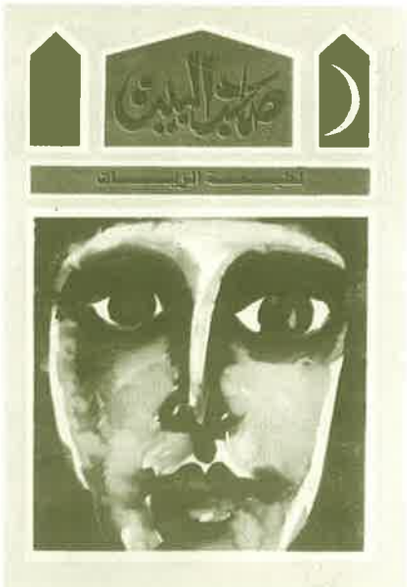

صاحب البيت

د. لطيفة الزيات

الناشر / دار الهلال / القاهرة / ١٩٩٤ / ١٢٩ صفحة

مراجعة / د. فريال غزول

تدهشنا لطيفة الزيات في كل عمل من أعمالها القصصية بتقديمها - بالإضافة إلى أدب متميز - إبداعا مغايرا لما سبق من كتاباتها. ففي « الباب المفتوح » (١٩٦٠) قدمت لنا عملا ذا جلال ملحمي، وفي «الشيخوخة» (١٩٨٦) أقامت بمهارة متاهة سردية مثيرة، وفي «الرجل الذي عرف تهمته» (١٩٩١) تمثلت المفارقة والكوميديا السوداء، وفي «حملة تفتيش أوراق شخصية» (١٩٩٢) صاغت صيرورة ذاتية وشرّحت بحميمية لقطات من حياتها. أما في «صاحب البيت» فتقدم لطيفة الزيات رواية - قصيدة تتميز بشفافية شعرية وتتمحور حول عقدة مركزية لتستعرض ملابسات تعثر بطلة مناضلة في جو مناوئ، وتستبطن تراوحها الداخلي بين المقاومة والتسليم. وعلى الرغم من أن بطلة الرواية امرأة من لحم ودم إلا إنها ترمز أيضا إلى الثورة في طموحاتها وتعثر مسيرتها، وبتذبذبها بين الاندفاع والاستكانة.

وأعتقد أن لطيفة الزيات التي تتداخل وتتواشج أعمالها تقوم بهذه الرواية باستكمال ما أغفلت أو تغافلت عن تقديمه في سيرتها الذاتية «أوراق شخصية»، وهو الجزء المرتبط بزيجتها الأولى، ولكنها هنا لا تقدمه كتاريخ شخصي بل عبر شفرة روائية وقناع سردي. فالنص تنويع واسترسال على هاجس محوري عند الكاتبة الكبيرة وهو جدلية الأنا مع الكل. وتعزز لطيفة الزيات من إحساس قرائها ومريديها بأنها تجوّد في كل عمل جديد، بوثيقة مهمة ترفقها كملحق

لهذه الرواية، وهي عبارة عن شهادة تكتبها عن تجربتها في الكتابة الإبداعية مؤكدة فيها منطلقاتها النقدية وهمومها الوطنية وموقفها من قضية المرأة وتعددية مقارباتها الإبداعية حول مفهوم علاقة الفرد بالجماعة.

تبدو هذه الرواية القصيرة التي لا تتجاوز السبعين صفحة كأنها دفقة شعرية. ولا أقصد بمصطلح «الشعرية» شطحا خياليا أو جموحا رومانسيًا، بل أعني بنية أسلوبية محكمة، كل كلمة فيها خلية في كيان النص النابض، لا يمكن الاستغناء عنها إلا بتجريح جسد العمل. ومفتتح الرواية خير دليل على اقتصادها وكثافتها، فالفقرة الأولى منها تحتوي في ثناياها على مقوماتها وتستشرف الصراع الذي سيتبلور فيها. تبدأ الرواية بجملة طويلة تشكل فقرة كاملة تقدم لقطة في مشهد إنساني يستكمل فيما بعد عبر تقنيات سردية مركبة، منها ومضات استرجاعية وتيارات الوعي المتضاربة وتداعيات الحوار والتفاصيل. والفقرة الاستهلالية لا تحكي الحدث بل تقتنص لقطة تشع بالدلالات الرمزية وترهص بالإمكانات التأويلية. فالقارئ يدرك أن الليل زمن الحدث، لا لأنه مذكور بل لأن سامية غارقة في النوم عندما يدق جرس البيت. والرنين المتواتر لا يوقظ البطلة إلا بصعوبة، لكثرة ما حلمت بطرقات متلاحقة منذ القبض على زوجها. وعندما تفيق من نومها تتساءل "ماذا يريدون هذه المرة؟".

يستشف القارئ إذن من هذه البداية السلسة المحبوكة أن سامية تقيم وحيدة، وهي مسكونة بزوجها الحبيب، وملتاعة لأنه مسجون، وأنها تقابل بين «هم» المقتحمين لخلوة بيتها و «نحن» أصحاب الدار. ويدرك القارئ كل هذا بدون الرجوع إلى التعبير المباشر التقريري للوضعية. ويبقى المقتحمون بلا تسمية وتعيين، كما سيبقى صاحب البيت بلا اسم وهوية محددة، على نقيض الرفاق الذين نميزهم بأسمائهم (سامية، محمد، رفيق)، وبتفاصيل حميمية تشي بدواخلهم. كما أننا نجد سامية نائمة في الفقرة الاستهلالية ومتكومة على نفسها «فخذاها تلامسان ذراعيها»، وهذه بدون شك صورة كنائية للوضع الجنيني ومفتاح من مفاتيح الرواية، حيث تتطلع البطلة كلما تعقدت حياتها إلى حضن أمها وبيت أهلها بكل ما فيه من أمان وإن كان أمانا تلازمه الرتابة والتبعية.

والوضع الجنيني في النوم هو وضع التسليم والغيبوبة الذي يقابله وضع الصحوة والمقاومة مكثفا في استجابة البطلة للرنين: " استقام جسد سامية وأطلقت صرخة ". وهكذا نجد التكور الجنيني والانتصاب الجسدي حالتين تتراوح بينهما البطلة. فكلما ازدادت ضغوط المعاش وتخلخلت وحدة الرفقة، استكانت سامية وحنّت إلى الرحم. والرواية تصور مشاهد عديدة ورائعة للتناوب بين الحالتين اللتين ترمزان إلى الراحة والموت والمطلق من جهة وإلى الصراع والحياة والنسبية من جهة أخرى.

والمفارقة التي تسري في كل فصول الرواية بين المتوقع والمعاش، الحلم والواقع، نجدها أيضا في هذه الفقرة الاستهلالية. فالطارق الليلي ليس شرطيا مداهما بل رفيقا نجح في تهريب محمد زوج سامية، وجاء يستحثها ليذهبوا ويختبئوا بعيدين عن أعين الأمن. واللقاء العاطفي الذي كانت تنتظره البطلة مع زوجها يستبدل به مشهد مغازلة تمثله سامية مع رفيق كي يشغلا سيارة الشرطة عن تفتيش سيارتهم، في مفارقة مريرة.

ويتلو هذا التنكر سلسلة من أدوار التخفي والإخفاء، حيث يتظاهر رفيق وسامية بأنهما عريسان ويستأجران شقة متواضعة عند صاحب البيت يخفيان فيها محمدا الذي أصبح شريكا سريا لحياتهما التنكرية. ومن خلال الحوار والتلميح ندرك أن صاحب البيت لا يصدق أنهما عريسان، بل يتصور أنهما حبيبان، وقد غاب عنه حقيقة السبب السياسي الذي يكمن وراء ادعاءاتهما.

ونتابع في الرواية ما يجري في هذا الجو المتوتر من تفاصيل حياتية ترهق أعصاب سامية وتفرض عليها ازدواجية لا تطيقها، ونتعرف على ذلك من خلال تيار وعيها وتداعي أفكارها. وعندما تفقد إحساسها بالتوحد مع زوجها خاصة أن ثالثهما رفيق يختلف عنها وجدانيا ومتحيز ضد جنسها، تقرر أن ترجع إلى بيت أهلها في خطوة إلى الوراء طلبا للسكينة النفسية. ولكن عند اطلاعها على الصحف الصباحية بما فيها من أخبار وصور حول زوجها ورفيقه تقرر من جديد أن تتراجع عن تراجعها، وتعود إليهما مستفزة وثائرة لتدخل في مصارعة رمزية مع صاحب البيت، ظنا منها أنه تعرّف عليهما وفي طريقه لإعلام الأمن. وفي هذه المواجهة ذات البعد الرمزي تجرح البطلة صاحب البيت الذي يمثل سلطة الحارة والبورجوازية المحلية، ثم تنحني لتضمد جرحه، فهو الخصم ولكنه ليس العدو الأكبر. وتنتهي الرواية، كما بدأت، في جملة طويلة تشكل فقرة مفتوحة المضمون، وذات تفاصيل إشارية ورمزية:

> "كان الأمل في بداية جديدة لم يزل قائما وأسراب الحمام الأبيض تتطاير من البرج الذي بدا من قبل رهيبا، حين نادت سامية محمد ورفيق، والرجل العجوز المنهك يتوسد حجرها، والجريدة الصباحية ملقاة على الأرض تبين عن صورة محمد ورفيق".

هذا العود على بدء في حلقة لولبية يميز الشعر والموسيقى، حيث تتداخل وتتقاطع الافتتاحيات بالخواتيم. وكما في الموسيقى والأغاني والقصائد نجد في هذا النص الزياتي لازمة تتكرر، وهي جملة تستدعيها البطلة كلما وجدت نفسها

مضطرة إلى تمثيل دور (وما أكثر ما اضطرت إلى ذلك) يتموج بتواتر دالٍ في تيار وعي سامية، وهو فعل لعب وتصريفه، فتستحضر دوما وفي سياقات مختلفة: "لعب يلعب فهو لاعب". واللعب هنا مرتبط بالقيام بدور أي بالتمثيل -بمعني التزييف- وبالتلاعب، كما أنه يرتبط بالدخول في لعبة -مباراة، صراع، مواجهة- لها قواعدها وشروطها.
وفي مطلع الرواية نجد البطلة رافضة لمبدأ اللعب الذي يفرضه عليها مجتمعها المحافظ والمنافق، وإن كانت تلجأ إليه مرغمة في محاولة إخفاء زوجها الهارب من السجن السياسي، فتقوم بأدوار عديدة، منها دور المرأة اللعوب. ولكن أصعب من هذه اللعبةَ التي تلعبها أمام الغرباء والشرطة وصاحب البيت المتاجر بشقته، هي اللعبة التي تدفع إليها مع الأقربين: زوجها محمد وصاحبه رفيق. فليس أصعب على بطلتنا من التظاهر في سياق حميمي أو أخوي. ولكن البطلة في نهاية الرواية تنخرط في اللعبة، تلك اللعبة التي أصبحت تجيد قواعدها وتعرف كيف تستغل مواضعاتها، فتنقلب من ممثلة رافضة لأقنعتها إلى مخرجة موجهة فيَ ملعبها.

وتبدو الرواية في نهايتها كأنها تفلت من واقعيتها المتماسكة والمتساوقة في الفصول السابقة، لتستعرض مشهدا ختاميا خارجا على الواقع، في تركيب أقرب ما يكون إلى المحاورة الأمثولية التي تقف على حدود الواقعية السحرية وتخوم السريالية، حيث نقع على عراك جسدي بين البطلة الشابة الخجولة وصاحب البيت العجوز الغامض. وهذه النقلة الختامية إلى مستوى ما فوق الواقعي في السرد ليست نقلة اعتباطية أو مزاجية، فهناك ما يبررها أدبيا. لقد تسترت -إن صح التعبير- لطيفة الزيات على توريتها، بحيث إن الدلالة الرمزية للأفعال والجزئيات بقيت مهمشة ومؤجلة، كأن المؤلفة تماشي بطلتها في رفضها الدخول في اللعبة وفي حلبة مباراة رمزية، ولكنها في الخاتمة، وقد أدخلت بطلتها في تضاعيف اللعبة، تتخلص (الراوية) من عباءة التستر وتقدم اللعبة الرمزية ورمزية اللعبة بشكل سافر. إن الخروج هنا على مواضعات القص وأعراف اللعبة السردية بواقعيتها يبرره نوع من التراكم في الترميز والتلويح والإلماع وصل ذروته في الفصل الأخير، كما يحدث في التصعيد الذي نجده في المتتاليات الموسيقية والذي يؤدي إلى قمة ختامية يعقبها صمت تأملي لذيذ.

المعرض الأول لكتاب المرأة العربية
تنظمه
نور - دار المرأة العربية للنشر/القاهرة
جمعية المرأة العربية نور/بيروت

تلابيب الكتابة

صافيناز كاظم

الناشر / دار الهلال / القاهرة / ١٩٩٤ / ٢١٤ صفحة

مراجعة / د. سيد البحراوي

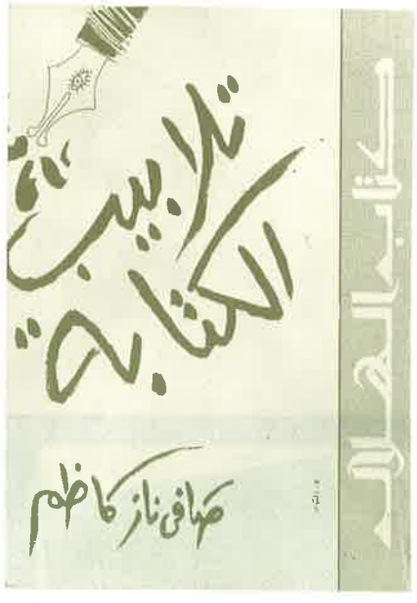

صافيناز كاظم كاتبة راسخة ومقتدرة، تمتلك بجانب ثقافتها الواسعة حساسية عالية إزاء اللغة والفن والحياة، ومنظورا عميقا يتجاوز في بحثه العالق والظاهر إلى المطلق، وهو الحق والعدل والخير والجمال. تتضح هذه القدرات بجلاء في أعمالها السابقة، ولكنها تتجلى على أعلى مستوى في كتابها الأخير "تلابيب الكتابة".

و"تلابيب الكتابة" هي ثلاثة وثلاثون قطعة من النثر الفني، يمكن وصف أغلبها بصفة الممتاز. فعدا قطعتين أو ثلاث (مثال: لولا أن الرجل موجود، ص١٢٦، أو: في حياتي بلطجي، ص١١٠)، نحن إزاء نصوص تتحقق فيها كل خصائص الكتابة الفنية الراقية بوعيها العميق الممتزج بحس مرهف ولغة شفافة رقيقة ودقيقة. كل هذا برغم أن هذه النصوص لا تستقر على تصنيف نوعي محدد كما تشير الكاتبة في مقدمتها. فنحن هنا، إزاء عين وأذن وملكات إنسانية تتجول في الزمان والمكان، تصف وتتأمل وتتفلسف وتنقد ما تقع عليه عيناها أو تسمعه أذناها، وكل ما تحس به وتعيشه في الحاضر والماضي، فيما عاشته وفيما تعيشه، وفيما تأمل أن تعيشه ابنتها مع الأجيال المقبلة.
وبرغم أن المعروف عن صافيناز كاظم هو أنها ناقدة مسرحية من الطراز الأول، وهذا واضح في نصوص التلابيب الخاصة بالمسرح، فإننا هنا نجد -بجانب النقد المسرحي- تعاملا رقيقا مع الأصوات وموسيقاها والألوان وتشكيلها والحروف وشعرها. وبالإضافة إلى ذلك، وربما الأهم من ذلك، نصوصها المبدعة التي تقدم تجربتها الذاتية في علاقتها الطفلة بشوارع وحارات وترام الإسكندرية والعباسية التي تمتد حتى اللحظة الراهنة. ولا شك في أن هذه النصوص تضيف إلى رصيد صافيناز كاظم ككاتبة الكثير جدا. أما المفاجأة بالنسبة إليّ ، فقد كانت مجموعة النصوص التي تحققت لها عناصر الاكتمال كقصص قصيرة (طرائف القرد الأصلع، والخنزير الأبرص) أو

كسيناريوهات أفلام بديعة (رؤيا العجلة الداخلية، رأيت فيما يرى الصاحي) . ففي هذه النصوص تتحقق -بالإضافة إلى المزايا السابقة- مزية الانضباط والتكامل الدرامي والرؤيوي، ونتخلص من كثير من الصراعات التي تحكم كتابة صافيناز كاظم في هذه التلابيب.

وحين نقول صراعات فلا نعني التناقض والانفصام فحسب، وإنما نعني أيضا الغنى، لأن هذه الكتابة تحمل هموم إنسان عميق وحساس، يعيش حياتنا الكئيبة الخالية من المسرة أو الأمل. مما يدعو الإنسان، كما فعلت الكاتبة، إلى أن يلوذ بما هو وراء هذه الحياة، سواء كان ذلك في الماضي، ماضيه هو الشخصي في مرحلة الطفولة، أو الماضي العقائدي الذي يحكم كثيرا من آمالها وأحكامها التي تخضع في هذه الحالة للإطلاق أو التناقض.

إن القارئ لتلابيب الكتابة لابد من أن يلحظ أن هناك صراعا دائما سواء في بنية الكتاب، أو في معظم نصوصه (عدا النصوص التي أشرت إليها أخيرا) بين التجربة الذاتية وموضوعات الحياة، بين الإبداع الفني والنقد والتأمل، بين الفن والأخلاق، بين التذوق والأحكام المطلقة المبنية على قواعد نقدية ذات طابع أخلاقي، ولعل أحكامها الخاصة باللون الأسود مثلا، وعلاقته بالألوان الأخرى (ص٤٤)، أو حديثها عن محمد عبد الوهاب، نماذج على ذلك. غير إن أخطر مثال على هذا الصراع هو النصوص الثلاثة المتوالية عن الفن التشكيلي (كنعان ووسام فهمي ومحمد علي). ففي حين يمتدح مدير كنعان في مرحلته التجريدية، باعتباره فنانا إسلاميا بامتياز (لأن التجريد فن إسلامي؟ كأن الاتجاه التجريدي الأوروبي الحديث أيضا إسلامي)، نلاحظ تناقضا مع هذا الحكم في الحديث عن وسام فهمي وخاصة عن محمد علي الذي يقوم فنه أساسا على التشخيص الشعبي وليس على التجريد.

مثل هذه الأحكام تشي بصراع عميق (ليس بالضرورة سلبيا) فيما بين أنساق مختلفة من القيم، وخاصة فيما يختص بالفن، بين حب عميق وحساسية فائقة وحكم ديني أخلاقي قد يتعارض مع هذا الحب التلقائي والحساسية. ولعل محاولة الكاتبة لفهم مسرح العبث على أساس إسلامي مثال واضح آخر على ذلك.

وكما سبق أن قلت فإن النصوص القصصية والسيناريوهات تخلو تماما من هذه الصراعات وتحل محلها الصراعات الفنية التي تحقق تواترا عميقا. أما النصوص الأولى الخاصة بالتجربة الذاتية، فهي ترتفع إلى أعلى درجات الصدق والمهارة في الكتابة، وتقدم فيها الكاتبة تاريخ الوطن الحديث عبر مزيج عميق من الذاتي والموضوعي. ولنقرأ معا هذا النموذج:

«من هذه الشرفة شاهدت ألسنة اللهب قبل أن تأتي أمي من الخارج لتقول: إيه القاهرة تحترق لكنها -والحمد لله- كانت قد تمكنت من استلام نظارتي الطبية التي استخدمتها لأول مرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ ورأيت ألسنة اللهب بوضوح! وفي الصيف من نفس العام تمر مواكب من "أبطال الثورة" من تحت شرفتنا ونقف أنا وأمي وإخوتي بألوان أحمر وأسود وأبيض لنمثل علم الثورة، والفرح يدمع أعيننا وشارع العباسية عريض ومصقول وأرصفته واضحة وإسرائيل عمرها أربع سنوات فقط!» (صفحة٢٧ - ٢٨).

وهكذا، فرغم هيمنة الذاتية والإطلاق والتناقض في بعض الأحيان، فإن الفنان الذي يتقمص روح صافيناز كاظم متصلا بحب عميق لخالقه، قد نجح في أن يخرج من القمقم والاكتئاب، ليقدم لنا قطعا فنية نادرة قادرة على أن تخرجنا أيضا من الاكتئاب، وقد تساعدنا على الخروج من القمقم.

المعرض الأول لكتاب المرأة العربية
جائزة لأفضل كتاب في الإبداع الأدبي
جائزة لأفضل كتاب في العلوم الاجتماعية
جائزة لأفضل كتاب في العلوم

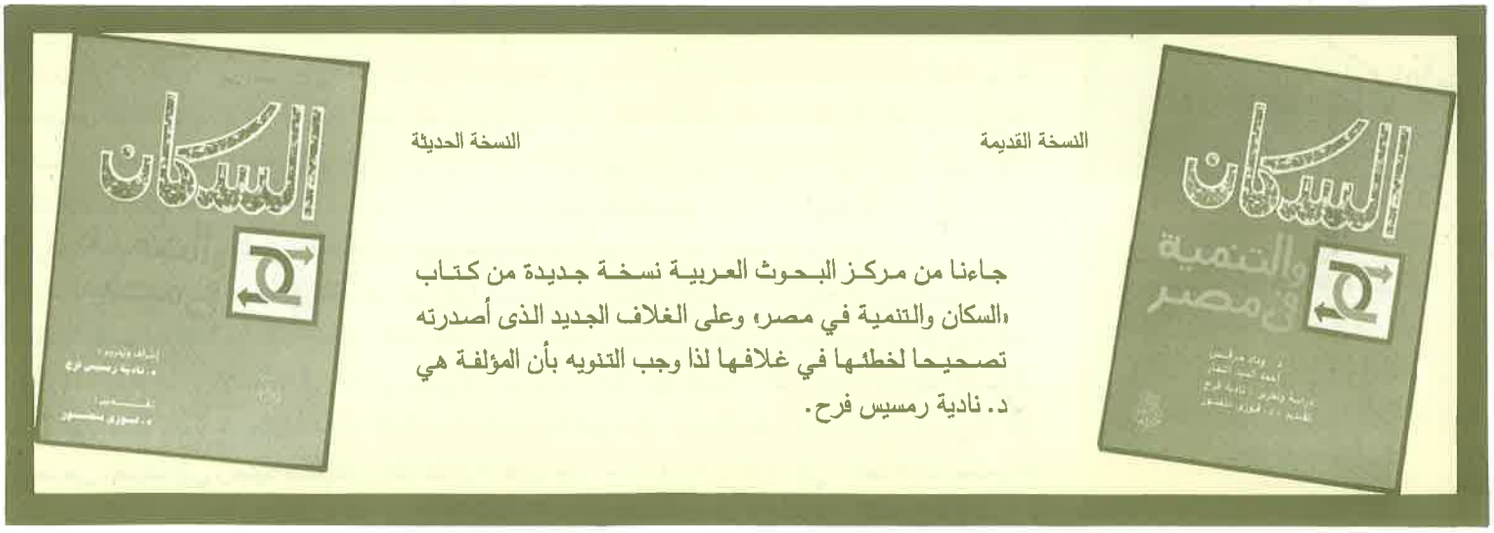

النسخة القديمة

النسخة الحديثة

جاءنا من مركز البحوث العربية نسخة جديدة من كتاب «السكان والتنمية في مصر» وعلى الغلاف الجديد الذى أصدرته تصحيحا لخطئها في غلافها لذا وجب التنويه بأن المؤلفة هي د. نادية رمسيس فرح.

ملخصات في علم الاجتماع

حقوقك في العمل

لور مغيزل

الناشر / الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان / لبنان / ١٠٢ صفحة

يتوجه هذا الكتاب في الأساس إلى المرأة العاملة (الأجيرة) محاولا أن يبصرها بحقوقها في العمل التي هي جزء من حقوقها كإنسان. فمعرفة الحقوق ضمان لممارستها الممارسة الصحيحة. ويقدم الكتاب في أسلوب مبسط أهم أحكام القانون التي تنظم العمل، فيبدأ برصد مجموعة القواعد التي تحدد علاقات أصحاب العمل بالأجراء سواء كانت هذه القواعد ذات مصادر دولية أو عربية أو وطنية (لبنانية)، ثم يتقدم ليشرح بتفصيل أكثر فكرة العقد الفردي الذي بموجبه يقوم شخص ما بالعمل لدى آخر مقابل أجر محدد ،وكيف يبدأ العقد وكيف ينتهي، وكذلك العقد الجماعي المرتبط بمنظمات نقابية. بعدها يتعرض الكتاب للإجازات، كيف تكون مدفوعة الأجر أو تكون بدون مرتب، وتوفير الحماية الصحية والحماية الاجتماعية والنفقات اللازمة لذلك في حالات المرض أو الإصابة أو العجز، وحماية الأمومة (مدى الإجازة التي تحق للمرأة الحامل) وحماية الطفولة والأحداث من الأعمال التي يعملون فيها. ومرفق بالكتاب ثلاثة ملاحق تحدد أهم الأحداث في تاريخ تشريعات العمل واتفاقيات العمل العربية الدولية التي وقعتها لبنان. ويهدف الكتاب في النهاية إلى تبصير المرأة بحقوقها حتى يتسنى لها أن تؤدي واجبها وتأخذ حقوقها كاملة.

صحة الأطفال: دليل الأمهات

د. فتحية السعودي

مراجعة / د. هانية عمر

الناشر / دار المدى / عمّان / ١٩٩٣ / ٢٠٤ صفحات

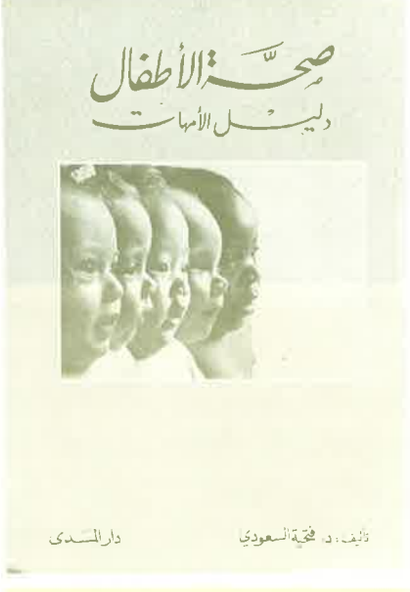

موضوع هذا الكتاب يهم كل فتاة مقبلة على مرحلة الأمومة، فهو يتضمن بأسلوب بسيط وبطريقة تثقيفية مباشرة المعلومات الأساسية المهمة عن صحة الأم والطفل، بدءا من رعاية المرأة الحامل وما يجب عمله للمحافظة على صحتها وسلامة جنينها. ويتعرض للعناية بالوليد وتلبية احتياجاته والخطأ والصواب في العادات المتبعة في هذا المجال. ويتناول المشاكل الصحية الشائعة عند الوليد وكيفية التصرف إزاءها، ويبين فوائد الرضاعة الطبيعية ويحض عليها، ويقدم إرشادات للفطام والتغذية التكميلية. كما يعرض الكتاب المراحل الأساسية للنمو والتطور الجسدي للطفل حتى تتمكن الأم من الكشف المبكر عن أي تأخر فيه. يتحدث عن حماية صحة الطفل والأم بتوضيح أهمية الالتزام بالمبادئ العامة للنظافة والصحة وضرورة تحصين الأطفال ضد أمراض الطفولة وتحصين الحامل ضد التيتانوس. ويشرح أهمية تباعد فترات الحمل، ويقدم صورة مبسطة ومفيدة لوسائل تنظيم النسل. كما يعالج بصورة مبسطة وسريعة مجموعة من أمراض الطفولة الشائعة وكيفية العناية بالطفل المريض.

ويتضمن الكتاب فصلا عن النواحي النفسية السلوكية عند الطفل، وفصلا آخر عن حماية الطفل من الحوادث المنزلية وكيفية تفاديها ومواجهتها، ثم كيفية التعامل مع الطفل المعوق إعاقة دائمة سواء كانت وراثية أو مكتسبة، ووضعه في الأسرة.

المرأة في خطاب الأزمة

د. نصر حامد أبو زيد

الناشر / دار نصوص للنشر / القاهرة / ١٩٩٤ / ١٣٥ صفحة

الكتاب مجموعة من الدراسات حول وضع المرأة في الخطاب العربي المعاصر. وهو الخطاب الذي تعرض لهزيمة يونيو ١٩٦٧ وتوابعها. ولهذا فهو خطاب مأزوم تنعكس أزمته على مناهضة المرأة. يبدأ الكتاب بتحليل جذور التصورات العنصرية حول المرأة في أصولها التراثية واللغوية. فيقدم تحليلا نقديا لتدني وضع المرأة في أسطورة خروج آدم وحواء من الجنة عبر تناوله للخطاب التفسيري للقرآن. كما يركز على إشكالية التمركز الذكوري في بنية اللغة العربية، وهو ما يفضي إلى تماثل إعرابي بين الاسم المؤنث والاسم الأعجمي. وينتقل المؤلف إلى تحليل هذا التمركز الذكوري في بنية الخطاب الصوفي عند ابن عربي. ويوضح بعد ذلك ظاهرة استدعاء أسطورة آدم وحواء فيما يسميه "خطاب تزييف الوعي" في الصحف ووسائل الإعلام. ويعقد مقارنة بين الخطاب الديني وخطاب النهضة مبرزا نقاط الخلاف الجوهرية بينهما، لا سيما حول المرأة. ويختتم المؤلف كتابه بمناقشة قضايا الحجاب والمطالبة بعودة المرأة إلى البيت وقضايا الطلاق وتعدد الزوجات، من خلال تفنيد حجج الخطاب الديني والخطاب التشريعي (لا سيما التونسي) وقياس مدى اقتراب كل منهما –أو ابتعاده– عن التفسير الحرفي للنصوص.

الخوف من الحداثة : الإسلام والديمقراطية

فاطمة المرنيسي

ترجمة / محمد دبّيات

الناشر / دار الباحث / دمشق / ١٩٩٤ / ٢٥٣ صفحة

يتناول الكتاب المخاوف المتضاعفة التي تواجه المدن العربية المسلمة في زمن ما بعد حرب الخليج. ذلك الزمن الذي شهد سقوط بغداد وانهيار الحدود بمعناها المادي والرمزي. تبدأ المؤلفة بالكشف عن مخاوف أنظمة الحكم الإسلامية من الديمقراطية في إطار موجة الخوف العام من الحداثة، برغم أن هذه المخاوف كامنة في تراث الإسلام وتجسد مكونا أساسيا من تاريخه. في هذا الصدد تطرح المؤلفة قراءة لتاريخ الإسلام من زاوية التأرجح المستمر بين الخوف المفعم بالاستبداد السياسي من العقل وحرية التفكير (تراث المعتزلة)، والخوف من فوران الاحتجاج الشعبي (تراث الخوارج). وعلى ضفاف هذا التأرجح صنعت الحواجز والحدود لدعم الطاعة. ثم تطرح المؤلفة المفاهيم المقدسة مثل الشرك والكفر كترجمة لحرية التفكير، والتعدد المرادف للفرقة والانقسام، والخيال كموطن للضلال. وترى أن هذه المفاهيم صنعت في إطار تجاهل للزمن بدءا من جاهلية الماضي المرعبة الممتزجة بسلطة المؤنث (آلهات اللات والعزى) الدامية بوأد البنات قربانا بشريا للآلهة، وانتهاء بعنف الحاضر الدامي المشوش بحجب النساء. وبقدر ما يزداد هذا التجاهل ينمو الاحتجاج وتعم الفوضى وتصبح النساء ضحايا لطقوس إعادة التوازن.

الإسلام والحجاب بين عصر الحريم وتحديات الحضارة

خديجة صبار

الناشر / أفريقيا الشرق / المغرب /١٩٩٤ / ١٢٠ صفحة

الحريم كلمة تعني موضوع رجل مقتدر واسع الجاه جمع حوله عددا من النساء وعاش يتقلب بينهن، هن عالمه الخاص والمنطقة التي يمارس فيها خصوصيته وسلطته.

ويتضمن هذا النظام حجب المرأة عن الرجال الآخرين وتغطية الرأس وأحيانا الوجه. وقد عرفته مجتمعات سبقت ظهور الإسلام بقرون عديدة. والآية الوحيدة التي ذكرت الحجاب بلفظه ومعناه في القرآن كانت تخص نساء النبي، وإن كان نفر من المؤمنين قد حجّبوا زوجاتهم فذلك من باب التشبه بالنبي.

أمّا ما يقوم به أنصار الحركة الإسلامية المعاصرة من دعاية للحجاب باعتباره أخص خصوص الإسلام فهو خلط وتصوير للمرأة باعتبارها المسئولة عن تردي الأوضاع الاجتماعية.

وفي حوارها مع مجموعة من المغربيات المحجبات تكتشف المؤلفة إلى أي حد نجحت الدعاية المدبرة لأنصار الحركة الإسلامية في صنع أرضية واسعة لدونيتهن وتخلفهن، فأصبحن يعشن نوعا من الانفصام الثقافي وأكثر ميلا للخضوع والاستكانة للقدر والمكتوب، وعاجزات عن فهم ذواتهن وعن فهم الآخرين.

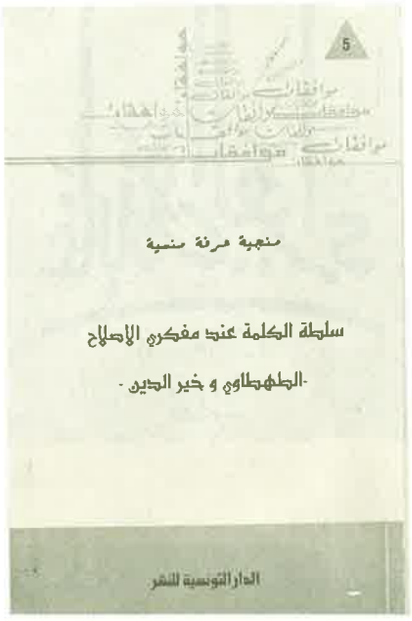

سلطة الكلمة عند مفكري الإصلاح الطهطاوي وخير الدين

منجية عرفة منسيه

الناشر / الدار التونسية للنشر / تونس / ١٩٩٣ /١٧٢ صفحة

الكتاب تحليل للخطاب الإصلاحي من الداخل، في محاولة لكشف إشكالياته وطموحاته. تركز الباحثة في تحليلها لخطاب الطهطاوي في "تخليص الإبريز" على اللفظ وتحاول اكتشاف تطور وظيفته الدلالية، فتقسم مصطلحات الطهطاوي الأساسية حسب حقولها الدلالية (علم، اقتصاد، سياسة ... إلخ).

وفي قراءة شائقة، ترصد الباحثة تطور تصور الطهطاوي من الغرائبية والدهشة إلى محاولة الفهم والتوصيل والمفاضلة والاستحسان لبعض محاور حضارة الآخر. وكصورة لما يأمل في أن تكون عليه مصر، لاحظت الباحثة اهتمام المشروع الإصلاحي عند الطهطاوي بالسياسة، والعلم، وتفوق الغرب.

وفي تحليل الخطاب الإصلاحي عند خير الدين عبر كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"، تركز الباحثة على علاقته بالدين، وترصد كثرة المصطلحات الدينية في خطابه (٧٥٧) مصطلحا، وأهميتها الكيفية، فهي تمثل العناصر المختلفة التي يتألف منها الهيكل الديني العام وتقرأ الوقائع والتفاصيل حسب منطق الشريعة.

حقوق المرأة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقيات الدولية

نازلي الشربيني

الناشر / عيون جديدة / القاهرة / ١٩٩٤ / ٨١ صفحة

يتناول الكتاب بالشرح والتحليل قضية حقوق المرأة، مبينا أن المرأة في ظل الشريعة الإسلامية تتمتع بحقوق تفوق تلك التي نادت بها الاتفاقيات الدولية. ويتكون الكتاب من ستة فصول يتناول من خلالها المجتمع الإنساني قبل ظهور الإسلام موضحا مكانة المرأة فيه ومدى الظلم الاجتماعي الذي كانت تلاقيه. ثم ينتقل إلى المجتمع الإنساني بعد ظهور الإسلام، فيستعرض المكاسب التي حققتها المرأة في ظل الشريعة الإسلامية ومركز المرأة في الإسلام وحقوق المرأة المسلمة وحقوق الأسرة، ويقارن بين ذلك الوضع وما تنادي به الاتفاقيات الدولية، ويرد على الدعاوى التي تشكك في هذه الحقوق ومنها حق الرجل في الزواج بأكثر من امرأة، والتطليق، وقضايا الميراث، وعدم تولي المرأة القضاء. ثم يختتم الكتاب بتوصيات الهدف منها إلغاء صور التمييز بين الرجل والمرأة.

ملخصاتَ في الأدب والنقد

غابة في العراء

فوزية رشيد

الناشر / سينا للنشر / القاهرة / ١٩٩٤ / ٢٢٢ صفحة

ينقسم كتاب فوزية رشيد من البحرين «غابة في العراء» إلى مجموعتين قصصيتين تحمل إحداهما اسم «كيف صار الأخضر حجرا»، وتضم عشر قصص قصيرة. أما المجموعة الثانية فتضم عشر قصص قصيرة بعنوان «مرايا الظل والفرح». تكاد تشترك قصص المجموعتين في التأكيد على الكثير من المواقف الإنسانية، أو بمعنى أدق، المعاناة الإنسانية التي يعانيها البشر على اختلاف صنوفهم. وهناك الوحدة الشديدة التي يرزح تحت ثقلها أبطال كل من قصتي «الوجه الخامس» و لوحة لم تكتمل حيث الفنان في مواجهة الوحدة والقمع معا.

وتكاد تشترك شخوص المجموعة في الإشارة إلى معنى واحد هو الانسحاق تحت مظاهر عدة للقهر والقمع، كما في قصة الضباب. وهناك إهدار للبشر مقابل المال كما في الصفقة.

وفي قصتها «وجوه الرماد» تكشف فوزية رشيد عن أوجه تناقض عديدة في المجتمع، حيث الطفل المشرد يساق إلى تمثيلية هزلية. وتتقدم صورة المرأة المنسحقة في كثير من قصصها كما في حكاية لم تنته و «انعاكاسات». الموضوعات التي تطرقها الكاتبة شتى وهي تفعل ذلك بلغة يغلب عليها الفانتازيا أحيانا.

زهرة الكريز

رجاء أبو غزالة

الناشر / دار الكرمل للنشر والتوزيع / عمّان / ١٩٩٤ / ١٠٨ صفحات

تحتوي مجموعة رجاء أبو غزالة على عشر قصص تكاد تلح على أكثرها فكرة واحدة هي موقف المجتمع من المرأة وقضيتها ومما تعانيه من قهر في المجتمعات العربية. تتمثل هذه الفكرة في قصة عودة من الحدود، حيث الأب الذي يخطط بوعي لحرمان الابنة من السفر كمثقفة مدعوة لبغداد، وفي قصة «الموج والمركب»، حيث الزوج الثائر لتأخر الزوجة في إعداد الطعام الذي يعلل ذلك بانصرافها إلى القراءة، تعبيرا عن رغبته في أن تكون الزوجة جاهلة سهلة القياد. وفي قصة «رسالة من السيدة أ» نتابع موقف الزوج من الزوجة المناضلة التي سافرت لتلتحق بإحدى فصائل المقاومة في جنوب لبنان، حيث يمتزج الهمّ العام بالخاص على حد تعبير الدكتور إبراهيم خليل، وحيث يصبح هذا العمل في نظر الزوج الشرقي كفيلا بإدانتها أخلاقيا. في قصص رجاء أبو غزالة نماذج لبعض صور القهر التي تمارس على المرأة العربية، ورغبة في التخلص من ذلك القهر.

مختارات أدبية

مجموعة أدباء وأديبات من الإمارات

الناشر / منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب/ دار الكرمل للنشر والتوزيع/ عمّان /١٩٩٤ ١٩٣ صفحة

تحتوي هذه المختارات على ثلاث قصائد لكل من صالحة غابش، ظبية خميس، ميسون صقر القاسمي، وثلاث قصص لسعاد العريمي «حقل غمران» وسلمى مطر سيف «الثعبان» وفاطمة السويدي «مرافئ السكن».

في قصة «حقل غمران» تقص سعاد العريمي تجربة المدني البسيط حين يترك مدينته ويرحل إلى الصحراء بحثا عن عمل ومال أكثر، فيفاجئه توحش الصحراء ونارها.

وفي قصة سلمى مطر سيف الثعبان الرجل المريض الذي يتوهم علاقته بالجن وعالمهم وصداقته مع الآخر الذي يفشي سره ساخرا منه فيلقى عقابه.

وفي قصة فاطمة السويدي «مرافئ السكن» نعيش مع أبطالها قصة حب رومانسية لا تنتهي حتى بموت البطلة التي يظل زوجها وفيا لذكراها.

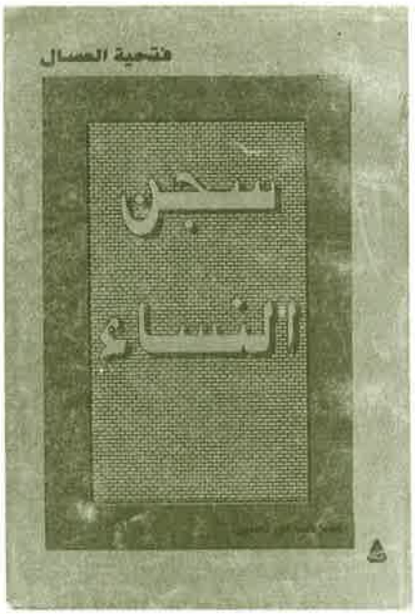

سجن النساء

فتحية العسال

الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب /القاهرة / ١٩٩٣ / ١٨٤ صفحة

تقع هذه المسرحية في فصلين ينقسمان معا إلى تسعة مشاهد. وفيها تقدم المؤلفة عالم سجن النساء بوصفه بؤرة مكانية يتجمع فيها اثنا عشر نمطا من السجينات. وتبدو أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ الخلفية التاريخية التي تدور فيها أحداث المسرحية، والتي تتشكل عبر خطين: خط رئيسي يجمع بين السجينات بوصفهن ضحايا القهر الاجتماعي والسياسي، ولا تشذ عن هذا إلا شخصية واحدة (إلهام). ولأن لكل منهن أزمة دفعت بها إلى عالم السجن، فقد أعطت الكاتبة لكل الفرصة للإفضاء بهذه الأزمة عبر تطور الخط الرئيسي، ولذا تسللت صيغة الحكاية إلى الشكل الدرامي. الخط الثاني محوره رحلة البطلة (ليلى) من دور الزوجة التابعة لزوجها المقهورة في علاقتها به الجاهلة بواقعها الاجتماعي والسياسي، إلى التفتح على ما فيه من ظلم وقهر اجتماعي وسياسي، وإدراكه بعمق، وتعرف إلى تأثيراته على أخص علاقاتها: علاقتها بزوجها، لتصبح – في النهاية – شخصية إيجابية.

والمسرحية – بإيجاز – إدانة للقهر الواقع على المرأة المصرية والعربية.

وطن آخر

بثينة الناصري

الناشر/ دار سينا للنشر / القاهرة / ١٩٩٤ / ١٠٢ صفحة

تتكون مجموعة وطن آخر من سبعة عشر قصة قصيرة للكاتبة العراقية بثينة الناصري نسجت خيوطها الدقيقة في براعة فائقة تضافرت معها معاناة البسطاء وأحلامهم الصغيرة في عالم موزع بين الذكريات الحميمة، رائحة الأرض، مذاق الأشياء، ملمسها، والتحليق في الفضاء الفسيح بين التأمل والسكون الداخلي والبحث عن الوطن الآخر وغزلت مجموعتها بسهولة واكتمال. في قصة حالات منتصف العمر، تصور ميلاد الشخصيات الروائية على الورق حال الكتابة. و«في غرفة في فندق رخيص» تصور الكاتبة نماذج من البشر وشعورهم بالمطاردة والإضطهاد معا، والاستسلام لمصير عبثي لافرار منه. وفي قصة انتظار تصور حاجة البشر إلى بعضهم البعض، والرغبة الدفينة في التخلص من مشاعر الوحدة، حتى وإن اسلمت إلى الوهم والجنون. وذلك من خلال قصة عجوز، دأب على زيارة قبر زوجته متخيلا إياها على قيد الحياة لتنشأ علاقة غريبة وفريدة رافضة الاستسلام للواقع.

أغنية للبحر

فوزية مهران

الناشر / عيون جديدة / القاهرة / ١٩٩٤ / ١٨٩ صفحة

تحتوي مجموعة فوزية مهران القصصية على ست وعشرين قصة قصيرة. وعالم فوزية مهران يحتفي بالنفس البشرية ويتحاور معها.

في «حلم البحر» تتناول فوزية مهران في لغة شاعرية مكنون النفس وما قد يبديه الوجه منها أو لا يبديه. وفي«قاموس البحر» تقص عن عالم البحر والبشر الذين يعيشون على رزقه في وعد كل يوم بالموت. ومن عالم البحر إلى عالم الأمومة، أمومة الأبناء وأمومة الوطن وهمومه، تنقلنا الكاتبة إلى الأرض المحتلة والأم التي تشمل بحنانها رضيعها والهارب من جنود الاحتلال معا، ليتسع معنى الأمومة ويشمل البشر والوطن.

ومن عالم البشر والآخرين إلى عالم الأنا، في «صلاة»، نرتفع مع البطلة إلى عالم من الوجد الخالص، وجد إنساني لا يتحقق إلا بالتواصل الإنساني مرة أخرى.

وفي قصة «اتجاه واحد» تدلف فوزية مهران إلى عالم البسطاء وفهمهم لليومي في حياتنا واصطدامهم ببعض المفاهيم التي يفرضها المجتمع وما يمارسه عليهم من سلطات.

المرأة في مسرح توفيق الحكيم ورشاد رشدي

د. نادية البنهاوي

الناشر / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٩٤ / ٢٧٥ صفحة

تتناول د. نادية البنهاوي المرأة في مسرح توفيق الحكيم ورشاد رشدي في خمسة أبواب. في الباب الأول تتحدث عن التصوير الفني لقيمة المرأة على ضوء البناء التقليدي للدراما، وصورة المرأة عند كل منهما، من خلال الأعمال التالية: «حياة تحطم» و«الخروج من الجنة». في الأولى رصدت المرأة بوصفها قوة مدمرة، وفي الثانية رصدتها بوصفها قوة دافعة خلاقة. وحول هذا المعنى ناقشت الكاتبة مسرحية «الفراشة» لرشاد رشدي. في الباب الثاني ناقشت المعالجة الرمزية لقيمة المرأة بوصفها رمزا في مسرحية «شهرزاد» للحكيم. في الباب الثالث تناولت الكاتبة البناء التقليدي في تصوير قيمة المرأة. وفي الباب الرابع تناولت الكاتبة المعالجة الرمزية في مسرحيهما من خلال مسرحيات «شهرزاد»، «يا طالع الشجرة» للحكيم. و «حبيبتي شامين» و «خيال الظل» لرشاد رشدي. وخلصت إلى أن مسرح رشاد رشدي قد امتاز بالتجريد في الشكل المسرحي وهو التجريد الذي أرسى أسسه الحكيم.

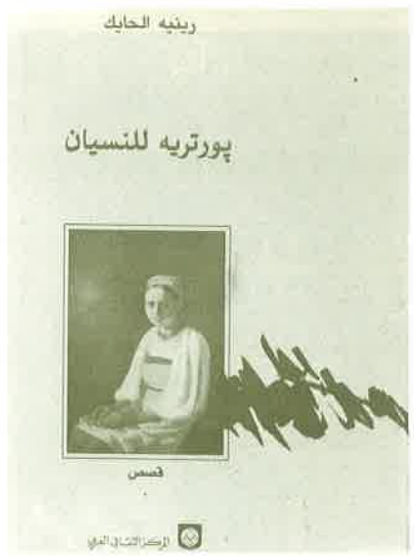

بورتريه للنسيان

رينيه الحايك

الناشر / المركز الثقافي العربي / بيروت / ١٩٩٤ / ١٢٧ صفحة

تحتوي مجموعة رينيه الحايك «بورتريه للنسيان» على احدى عشرة قصة قصيرة تتنوع موضوعاتها. في قصة «سأم» تلمس مع بطلتها سأما حقيقيا يلفها، يكاد يلغي البشر حولها ولا يقضي عليه محاولات دءوب لتأمل الآخرين.

وفي قصة «بورتريه للنسيان» نشعر بالوحدة التي تطغى على حياة بطلتها المرأة المسنة التي فقدت زوجها وبقيت هي لتنتظر زيارات الأبناء، وحدة أفقدت الأشياء والمعاني من حولها بريقها ولمعانها فلا تملك معها إلا الحياة والاستسلام في أحضان الذكرى. وفي قصة «تمارين للكراهية» نعيش تحول العلاقة الإنسانية من الحب إلى النقيض بعد أن تستغرق الحياة بتفاصيلها المميتة البشر، وكيف تسعى البطلة إلى التخلص منه. وفي قصة «نهارات معلقة» نعيش مع البطل حياة الاغتراب بعيدا عن الوطن والأسرة والانكفاء على الذكريات في محاولة للتعويض والتشبث بكل ما يربط بينه وبين الآخرين في الجانب الآخر، ولو كان مجرد رسالة. قصص رينيه الحايك تقدم نماذج لأكثر من حياة للبشر من حولنا.

مجلات المرأة العربية

ألف / العدد الرابع عشر

مجلة البلاغة المقارن
الجامعة الأميركية / القاهرة
رئيس التحرير / فريال جبوري غزول
القاهرة / ١٩٩٤

في عدد «ألف» الجديد العديد من المقالات التي تتناول موضوعا رئيسيا هو الجنون والحضارة، بأقلام نسائية، ومن جوانب مختلفة. هناك مقال أميمة أبو بكر عن نسخ العقل في شعر جلال الدين الرومي، وفيه أربع قصائد عربية للرومي، وتحليل للصور الخاصة بالعقل واستجابته لعملية الاتصال بالله عبر التجربة الصوفية. وهناك مقال نور المسيري بعنوان «دفن الحياة الأبدية في رواية دراكولا» . وفي العدد أيضا دراسة مهمة لدانية مانيستي حول المرأة والجنون من خلال تحليل لأعمال ثلاث كاتبات مصريات هن رضوى عاشور وسلوى بكر وسكينة فؤاد. وفي العدد ترجمة لأجزاء متفرقة من كتاب «عقلاء المجانين» لأبي القاسم النيسابوري، تقدمها شيرين العزبي. وفي دراسة لمكارم الغمري عن أبله دوستويفسكي تتحدث الكاتبة عن مدى اقتراب الفن الروائي من النفس البشرية وتتناول بالبحث الكثير من ملامح البطل عند دوستويفسكي لا بوصفه نمطا بل بوصفه وجهة نظر محددة عن العالم وعن نفسه وبوصفه موقفا فكريا على حد تعبير باخنين. وتبقى إشارة واجبة إلى مقال فريدة مرعي عن الجنون في السينما المصرية والأعمال التي تناولته.

طريق كل النساء / نشرة لمرة واحدة

مركز الدراسات النسوية في القدس
رئيس التحرير / فدوى اللبدي
القدس / خريف ١٩٩٤

تحتوي نشرة «طريق كل النساء» على عدة موضوعات أهمها النص الحرفي لمسودة وثيقة مبادئ حقوقية نسوية لإتاحة الفرصة أمام كل امرأة فلسطينية لقراءتها، وحوار مع د. عمر العالول حول الإجهاض وأسباب حدوثه. وفي النشرة موضوع من إعداد رقية العلمي عن المرأة في المؤتمر العالمي للسكان والتنمية، وبعض القضايا التي تخص الأسرة والصحة الإنجابية والإجهاض، وتحقيق لفيحاء جاد الله حول العمالة والبطالة لنساء القدس القديمة، طرحت فيه عدة تساؤلات منها: لماذا تعمل المرأة أو لا تعمل؟ وماذا تعمل؟ وماهي همومها وإنجازاتها؟ والنشرة تركز بشكل خاص على البحث عن دور مميز ورئيسي للمرأة في البنية الوطنية الجديدة للمجتمع الفلسطيني، وكيف تشق المرأة الفلسطينية طريقها إلى السلطة. هذا بالإضافة إلى الأبواب الاجتماعية التي تتناول بعض الموضوعات الخاصة بفن صناعة الثوب الفلسطيني وبعض النصائح المنزلية والاستشارات الطبية.

عيون جديدة / العدد الأول

رئيس التحرير / فوزية مهران

دار عيون جديدة

القاهرة / ديسمبر ١٩٩٤

صدر العدد الأول من مجلة «عيون جديدة» عن دار النشر عيون جديدة. وقد أصدرتها مجموعة من الكاتبات المصريات منهن فوزية مهران و سلمى شلاش وعائشة أبو النور، وهن المسئولات الفعليات عن «عيون جديدة للنشر». في العدد تشرح الافتتاحية سبب تسمية المجلة بهذا الاسم. وفيه أكثر من باب يضم موضوعات اجتماعية تمس البشر في كل مكان تتحدث عن العالم بين غضب الطبيعة وغضب الإنسان. وتكتب فوزية مهران في هذا السياق عن حاجة البشر على كوكب الأرض إلى الحب في ظل عالم مليء بالدمار والحروب. وتقدم المجلة بعض النصائح ذات الطابع النسوي الخاصة برشاقة المرأة وجمالها. كما تتحدث عائشة أبو النور عن الكاتب جارسيا مركيز وكتابته. وفي العدد بعض النصوص الأدبية والشعرية لكل من وفاء وجدي وآمال مبارك، بالإضافة إلى الموضوعات الفنية حول السينما والتلفزيون.

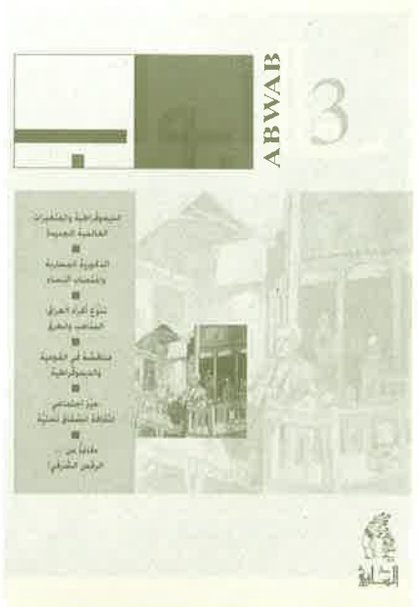

أبواب

فصلية عربية تعنى بالأفكار والثقافة

دار الساقي

لندن / ١٩٩٤

يحتوى عدد أبواب الفصلي هذا على ثلاثة نصوص مهمة لكل من الكاتبة السورية هنريت عبودي والمستشرقة البريطانية وندي بونافنتورا والكاتبة الأميركية سنثيا أنلو. تتحدث هنريت عبودي في قصتها «الغرفة المقابلة» عن العلاقة بين البشر والمكان في المجتمعات المدنية الحديثة من خلال حكاية البطلة التي تقطن فندقا فتترك غرفتها الضيقة لتسكن المقابلة لها التي يزعمون أنها مسكونة بالأشباح. وفي دراسة بعنوان «الذكورية القومية المحاربة واغتصاب النساء» تتحدث سنثيا أنلو عن جرائم الاغتصاب المصاحبة للقتال في البوسنة شارحة الدوافع والملابسات التي تحيط بها. وتكتب وندي بونافنتورا دراسة بعنوان «المرأة الجوهر» .تتحدث فيها عن علاقة الرقص بمدى قدرة المرأة على التعبير عن ذاتها، والفروق التي تنطوي تحت هذا المعنى بين الباليه الغربي والرقص الشرقي، كما تتناول علاقة الرقص في المجتمعات العربية أو الغربية على السواء بالنظرة إلى الجسد. وينبغي في النهاية أن نشير إلى مقال جورج طرابيشي عن المرأة وحدود النزعة الكونية.

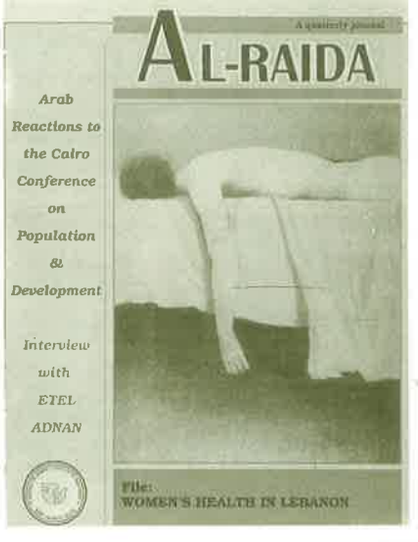

الرائدة / العدد ٦٧

معهد دراسات المرأة في العالم العربي

الجامعة اللبنانية الأميركية / خريف ١٩٩٤

تقدم الرائدة في هذا العدد ملفًا خاصاً عن «صحة المرأة في لبنان»، يتضمن شهادة للدكتورة أفلين عقاد بعنوان «رحلتي مع السرطان» وكيفية تعاملها مع المرض. وتكتب رندة أبو الحسن عن المرأة ومرض الأيدز في الشرق الأوسط. ويتضمن الملف دراسة للدكتورة منى تقي الدين أميوني بعنوان «مركز طبي متخصص لمعالجة إدمان المخدرات والكحول».

كما يتضمن الملف دراسة ثانية للأستاذة رندة أبو الحسن حول الوعي الصحي لدى المرأة اللبنانية.

ووثيقة هذا العدد هي «إعلان الأمم المتحدة حول إلغاء العنف ضد المرأة».

وثيقة

دفاعا عن ديمقراطية تعادلية*

«النساء نصف الكرة الأرضية ونصف السلطة»

جيزيل حليمي
ترجمة/ د. محمد برادة

في معظم برلمانات العالم، النساء صور متحركة أكثر مما هن ممثلات حقيقيات للشعب.
كيف، ولماذا، عمل القبول والاستسلام والصمت، على تأبيد هذا التشقق الإنساني في الحياة السياسية؟
بواسطة أي تواطؤ وأي دوامة للعقليات والقوانين، أصبح المجال السياسي اليوم هو الأقل نسوية من بقية المجالات، وهو الملكيّة المسوّرة للرجال، حتى في الأقطار الأكثر ديمقراطية؟ يتحتم علينا أن نفسر أسباب هذا الميْز الجنسي.
تحتاج هذه الأسئلة، للدخول في مناقشة حقيقية، إلى أن نطرح سلسلة من المعطيات التاريخية والفلسفية بكل تعقيداتها المتناهية. ويجب أن نضيف إليها تلك التي تغذي الحجة المسماة بيولوجية. لا لأن علم التشريح والبيولوجيا ليسا هما حجر الزاوية في هذه الحجة، ولكن لكون أصحابها يستنتجون منها الدونية الشاملة للنساء فيحرفون بذلك معنى الملاحظة العلمية عن مرماه.
إن أولئك الذين يدافعون عن وجود طبيعيتين مختلفتين، للرجال والنساء – بما لهم من خصائص فطرية ومكتسبة غير قابلة للاختزال– يستخلصون من ذلك نتيجة عتيقة: هي التمييز العنصري للأدوار، المنحدر، في نظرهم، من عدم قدرة المرأة على الاضطلاع ببعض المسؤوليات – ومن بينها المسؤوليات السياسية والعمومية – التي تؤول «بالطبيعة» إلى الرجل. وبالنسبة للمرأة، العاجزة عن الحكم، فإنهم لن يجادلوا في قدرتها المطلقة على الطبخ وتدبير شؤون المنزل وتربية الأطفال؛ إنه عالمها الخاص. أما الرجل فإنه سيقود العالم خارج البيت، فذاك عالمه العمومي.
إن اختلاف الجنسين يسلّم، في النظام البطريركي، باختلاف الوضع الاعتباري الذي سيترجم: **الاختلاف البيولوجي إلى تدنيّة النساء.**
هكذا، في القرن الثامن عشر، كان فريق « الأطباء الفلاسفة» يرجع تحليل السلوك النسائي برمته إلى جنسها. وحسب روسيل (١٧٧٥) فإن الرحم ينتشر، على نحو ما، في مجموع كيان المرأة الذي يصير هو رحمها « في كل الجوانب التي يمكن أن ينظر إليها من خلالها». وعن طريق الحساسية، فإن الرحم «سيفيض» على المخ. والخلاصة التى ينتهي إليها هذا الفليسوف واضحة: لاجدوى من الأمل في أي نمو لذكاء امرأة ... ومن جهة ثانية، عقب الثورة الفرنسية، كان سيلفان مارشال الشيوعي التعادلي، تلميذ بابوف والملحد، وصاحب كتاب «لا يجب على النساء أن يتعلمن القراءة، أو مشروع قانون مانع لتعليم النساء القراءة»، كان يؤكد بنغمة متعالمة أن المجتمع يتعرض لأكبر المخاطر إذا ما سمح للنساء بمزاولة السياسة فيه[1].
إن المعطى السياسي –إعلان حقوق الإنسان الأمريكي ثم الصادر عن الثورة الفرنسية– يمتح من فلسفة الكونية. وكونية الحقوق هي الفكرة السخية لعصر الأنوار التي امتطى صهوتها الثوار الفرنسيون سنة ١٧٨٩ ، والتي اشتعلت

---

* هذا النص ألقته نائبة البرلمان الفرنسية جيزيل حليمي يوم افتتاح الندوة التي نظمتها اليونسيكو بباريس عن: «النساء: نصف الكرة الأرضية ونصف السلطة» وهذا هو أيضا عنوان الكتاب الذي صدر عن جاليمار سنة ١٩٩٤ تحت إشراف ج. حليمي
Femmes: moitie' de la terre, moitie' du pouvoir.

مثل نثار بارود في عديد من أقطار أوربا ثم عبر بلدان أخرى من العالم.

"كل إنسان يعترف بإنسان آخر بوصفه إنسانا". وواضح أن كلمة إنسان يراد بها أن تكون النوع المطلق، الكائن البشري، الفرد الذي لا يميزه لا سلالته ولا لون بشرته ولا جنسه. باختصار، ما هو بشري، حتى ولو كان آخر، هو منا ومساوٍ لنا بسبب من ولادته كإنسان. إن الأعضاء المؤسسين لثورة ١٧٨٩ قد أرادوا -كما يقول ميشليه- أن يجعلوا من أنفسهم «مشرّعين» للجنس البشري. هل نجحوا في ذلك؟ لنسجل أولا بأن هذه الرومانسية الثورية لم تَحُلْ دون الإبقاء على الرق (لم يُلغَ إلا في سنة ١٧٩٤ بعد إعلان الجمهورية)[٢] ولم تمنع إقصاء النساء عن ممارسة حقوقهن المدنية والسياسية. فالمرأة المواطنة لن ترى النور في فرنسا، بلد الكونيّة، إلا بعد مرور قرن ونصف[٣]. بينما تحقق ذلك في نيوزيلندا سنة ١٨٩٣، وفى الأقطار السكندنافية والولايات المتحدة وألمانيا بين ١٩٠٦ و ١٩٢٠، وفي بريطانيا سنة ١٩٢٨، وفي إسبانيا والبرتغال سنة ١٩٣١، فسبقت فرنسا بزمن طويل. وسواء تعلق الأمر بالسيدة أولامب دوكوج أو بالسيدة مانون رولاند اللتين طالبتا بحق النساء كاملاً في العمل السياسي، فإنهما لم يُرضيا سوى في نقطة واحدة، نهائية: هي أنهما فارقتا الحياة فوق منصة الإعدام مثلهما مثل الرجال؛ لكن دون أن تكسبا أي حق من حقوق المواطنات. إن هذه الكونية التي كانت تريد أن تكون مجرّدة ومطبّقة على الفرد كيفما كان، لم تكن تستهدف في الواقع - كما كتب ذلك سارتر- سوى **الرجل البورجوازي** لسنة ١٧٨٩ وليس البورجوازية **المرأة**.

لنرفع كل التباس: نحن لا نضع الكونية ونظرية حقوق الإنسان بما هما عليه موضع تساؤل، وإنما ننتقد تناقضاتهما وتجريديتهما الزائفة. يمكن أن يكون هناك، من هو مثلي، جمهوريا من قمة الرأس إلى القدمين ومع ذلك يسجل بأن الثورة الفرنسية قد برهنت على عداوة جذرية للنساء، لا تتلاءم لا مع العقل ولا مع كرم الكونية البشرية. ذلك أن الثورة الفرنسية قد قررت **إقصاء** النساء عن المجال المدني.

كان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة ١٩٤٨ (البند ٢١)[٤] وبتطبيق بنده الثاني[٥] يسمح للنساء بالأمل في أنهن سيشاركن « في توجيه الشؤون العامة» لبلدانهن، وبأنهن سيتولين « ضمن شروط المساواة الوظائف العمومية» لأقطارهن. واليوم، الحقيقة تفرض نفسها.

فبعد مرور خمس وأربعين سنة على ذلك الإعلان المجيد، وثلاثين سنة على **الاتفاق العالمي ضد الميز الجنسي**[٦]، ذلك الميز الذي وُصف في اليونسيكو وفي جميع التنظيمات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، بكونه « مسا بالكرامة الإنسانية»، ماتزال المرأة مبعده، إلى حد كبير عن المجال السياسي، أو يسمح لها في نطاق جد ضيّق يستعمل ويُسَخر بوصفه العذر الذى تتعلّل به الثقافة البطريركية وثقافة الاحتكار الذكوري شبه التامة لإخفاء هيمنتها.

على أن النسبة المائوية العامة المستخلصة من معطيات عالمية، قد تفاجئنا لأول وهلة: فعلى الصعيد العالمي، تتوزع السلطة السياسية في البرلمانات بين الجنسين حسب النسبة التالية:

٨٦٪ للسلطة الذكورية؛

١٤٪ للسلطة النسائية.

وبالمقارنة مع الأرقام الفرنسية (٥,٧٪ من النساء في البرلمان، وهي النسبة الأضعف في أوربا، مع نسبة اليونان) فإن المساهمة النسائية العامة في مجال السياسة، رغم ضآلتها، قد تبدو معلنة عن وجود دينامية.

ما عدا، فيما يبدو، في فرنسا.

يوم ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٥، صوتت النساء لأول مرة وانتخبت جمعية تأسيسية ونسبة المنتخبات ٥,٧٪ وفي سنة ١٩٩٤ أي بعد ما يقرب من نصف قرن، فإن البرلمان الفرنسي يضم، دائما، ٥,٧٪ من النساء ضمن أعضائه. وهذا ما يوضح قوة الحصر المعرقلة التي تمارسها العقليات في هذا المجال.

قد يتذرع البعض بوجود شمولية للتفاوت، في الزمن وفي الحيوات، ما بين القيم الأخلاقية لسياسة ما، وما بين تطبيقها الظرفي.

وأنا أقصد، بصفة عامة، التفاوت بين جميع تلك الإعلانات، والإتفاقات، والقرارات، والدساتير، والقوانين وبين الواقع المعيش للرجال والنساء، ما يجعل الهوّة عميقة إلى درجة يبدو معها ضروريا أن نضع موضع تساؤل الفلسفة التي أوحت بكل تلك المواثيق.

إن الحرية، والمساواة، والحق في اقتسام الثروات، واقتضاء التضامن بين الأقطار الغنية والفقيرة، هي مبادئ مثل الميز العنصري، والجوع، وانفجار يوغوسلافيا (ومعه رعب الاغتصاب الجماعي للنساء المستعملات كأسلاب وكسلاح

حربي)، التي تختزل قانون الأقوى إلى زيٍّ إنسانوي.

لكن، لو أن هذا التفاوت وهذه الفجوة القائمة بين الحق والواقع، قد لحقا بالشرط الإنساني في **مجموعه وبنفس القدر**، فإن هذه الندوة المتعلقة بالمساواة أو بانعدام التساوي في السلطة السياسية بين الرجال والنساء، ما كان لها من سبب يبرّر تنظيمها. والواقع هو أن الجنسين لا يعانيان من هذا التفاوت بطريقة واحدة بنفس النسب. **فعندما تكون جميع الأشياء متساوية**، فإن المرأة تجمع التفاوت الذي عانى منه رفيقها الرجل إلى جانب ذلك التفاوت الخاص بها، **بوصفها امرأة وفقط لهذا السبب.**

إن هذا الجمع الميزي هو الذي يستطيع، وحده، أن يحدد الخصوصية السلبية لشرطنا النسوي، وهو الذي يفسر المكانة شبه المنعدمة التي تحتلها النساء في مجال السياسة.

يتبين لنا أن مفهوم الكونية ليس فقط هو موضع انتقاد، ولا هو بدون تأثير: بل إنه يعمل **موضوعيا** ضد العدالة وضد المساواة الحقيقية. فعن طريق مفعول منحرف، ينقلب ضد المطالب التعادلية للنساء. وكما تعبر عن ذلك، بحق، إليزابيت ج. سليزفيسكي، فإن ذلك الإعلان الكوني والتعادلي يضطلع بدور الحاجز، ويؤدي وظيفة التعمية، ويمارس ضد المرأة نكرانا حقيقيا للعدالة. ‹‹ الكونية هي شرك للديمقراطية ›› تقول إليزابيث(٧).

ولإسناد تأكيد الهوية التعادلية، يُكرّر على مسامعنا بأن المواطنة هي المواطن، وبأن جميع المواطنين والمواطنات متساوون مادام «هو» هو «هي» وأنها «هي» ، لا تستطيع أن تقول العكس، وإذن تابعوا سيركم فليس هناك ما يستدعي النظر.. وهو تأكيد ينقلب اليوم على النساء وعلى الديمقراطية نفسها. فالديمقراطية، التي أعلن عنها بوصفها درعًا حائلا دون أي برهنة على عكس ما هو قائم، فضلا عن أن الأحداث والأرقام قد كذبّتها، لا تستطيع أن تؤسس مجتمعا أخلاقيا لأنها تبطل مفعول الحواجز الموضوعة لمنع تحطيم الفرد وللحيلولة دون تصفيح وإلغاء خصوصيته الجنسية.

إنه لا يكفي اللجوء إلى حجج غائمة عن التعددية أو اختلاف المواطنين من أجل تبرير رفض اعتبار وجود الجنسين؛ فلا وجود لنوع جنسي محايد. والمواطن ما هو إلا نموذج مجنّس ('Sexue') ، نموذج ذَكَر.

وعلى النساء أن يعين ذلك، وأن يكُنّ كما كتبت ذلك لوس إركاري « نساء ووحدات للعالم المعاصر،(٨) بدون ذلك، سيندبن ولن ينلن أدنى قسط من السلطة.

يجب إذن أن تكون السياسة **مجنّسة**، وما دامت المساواة استعملت غالبا كغطاء لبؤس الشعوب وكتهدئة لضمير ساداتها، ومادامت المساواة التي تطالب بها النساء تؤول إلى فضيحة إقصائهن عن المسرح السياسي، فلنحاول أن نعرّف مساواة الجنسين تعريفا مختلفا وأكثر جدلية.

لنقل بأن **مساواة الجنسين تستتبع اختلافهما وبأن هذا الاختلاف سيكون هو المحرك الحاسم في إيجاد ديمقراطية أخرى.**

بتعريفنا للاختلاف على هذا النحو، وبجعلنا إياه مصدرا لمساواة أخرى، نضع بكيفية جذرية، مسافة بيننا وبين أولئك الذين يجعلون من هذا الاختلاف – مثلا العنصريين والجنسانيين، والمعادين للأجانب– أساسا لتدنية الآخر ورفضه. الآخر: لون البشرة الآخر، والجنس الآخر، والأجنبي. وكما كتبت ذلك جونفييف فريس بطريقة سلسلة كأنها تترجم إحدى البديهيات «الجنسان لا يلعبان فقط أدوارا على مسرح، هو مسرح الحب والحرب وعلاقة الهيمنة بين الرجال والنساء؛ بل إنهما يصنعان التاريخ انطلاقا من اختلاف الجنسين»(٩).

إن الديمقراطية التي يكون فيها نصف الإنسانيَة محكوما من لدن الآخر ما هي إلا صورة مشوهة للديمقراطية، ولدولة القانون حيث البديل هو الامتثال أو عدم الاهتمام. وفي جميع الحالات يكون البديل هو الإذعان.

إذن، إذا لم تختزل المرأة المواطنة إلى مواطن، وإذا اعتبرت امرأة وطرفا في التاريخ، مثلها مثل الرجال، فإن الديمقراطية، لأجل أن تكون حقيقية، ستكف عن الاكتفاء بأن تكون متساوية **شكلياً** وحسب.

يجب أن تكون الديمقراطية مختلفة، يصنعها مستقبل مقرّر من لدن الرجال والنساء، وتغنيها إضافات الهويتين معاً. وباختصار، عليها أن تؤدي إلى ميلاد ديمقراطية تعادلية.

كيف نشيد تلك الديمقراطية الأخرى في بلداننا ذات الدساتير المساواتية والقوانين المتطابقة؟ وحدها سياسة إرادوية تستطيع أن تفجر انحرافات النسق المسمّى بالمساواتي. وما دام السكوت عن حقوق المرأة قد أتاح وجود سلطة ذكورية شبه تامة، فإنه يتوجب سنّ قوانين أخرى، يمكنها أن تفرض على جميع الأصعدة التقريرية الاختلاط التعادلي.

نحتاج إلى قوانين ملائمة لكل صيغة من صيغ الاقتراع. قد تقلقون وتتساءلون: هل يتعلق الأمر بنظام الحصة النسبية (الكوتا) ؟ ولم لا؟ ولماذا يكون النظام محرّما في هذا المضمار؟ وماذا تعني، بالأخص، حصّة ٥٠٪ تعطى للنصف النسائي من سكان مواطنين، سوى أنها حصة مزدوجة مساواتية: ٥٠٪ للنساء، ألا تعني أيضا ٥٠٪ للرجال؟ أي، في نهاية الأمر، أكثر القسمات عدلاً؟

في سنة ١٩٨٢، عندما كنت نائبة بالبرلمان، استوحيت أعمال بعض الدستوريين الكبار، لأقدم إلى الجمعية الوطنية مقترحاً يرمي إلى تعديل قانون الانتخابات وذلك بسن حصة ٢٥٪ تخصّص للنساء (وهي نسبة جد متواضعة إلا أن حجمها قد كيّف انضمام جميع الفئات السياسية إلى التعديل). وكنت أعوّل على توسيع تلك الحصة، مستقبلا، إلى ٥٠٪. وإذن، فالأمر يتعلق بالتعادلية من خلال طرق طويلة. «لا يمكن للوائح المرشحين أن تشتمل على أكثر من ٧٥٪ لأشخاص من نفس الجنس». بهذه المصطلحات المساواتية تماما، وباستفادة الجنسين بنفس الطريقة من التعديل (لأن لائحة مقتصرة على النساء كانت ستعتبر مخالفة للقانون)، أمكن للجمعية الوطنية ولمجلس الشيوخ أن يصوتا على هذا التعديل بما يقرب من الإجماع(١٠). ثم أُلغي التعديل من لَدُن المجلس الدستوري(١١) بحجة رئيسية تقول إن الحصة (الكوتا) تقود إلى انقسام « المواطنين فئات».

غير أنه، لا يبدو من العدل في شيء، أن ندمج نصف البشرية في فئة واحدة. إن النساء، مثل النصف الآخر من الرجال، يشتملن على جميع الفئات (التي يمكن لكائن بشري، خلال حياته، أن يغيّرها): العمال، العاطلون، القاصرون، الشيوخ، المعاقون، المهاجرون، الخ.

فالتقسيم بحسب الجنس هو معطًى أساسي وضروري لاستمرار النوع البشري، ومن ثم فإنه يفلت من كل محاولة تتوخى «التقسيم الفئوي».

لماذا نريد قانونا تعادليا؟

ذلك لأن اللاتوازن بين الرجال والنساء في مجال السياسة يقتضي أن نُشَرّع. في مجالات أخرى –الشغل، البيئة، السوق– حاول القانون ومايزال، أن يتصدى لقانون والأقوى. وكما سبق أن قال لاكوردير: « فإنه بين القوي والضعيف، الحرية هي التي تقمع والقانون هو الذي يحرّر ».

وما هو موقفنا إذا استخلصت سلطاتنا السامية للحقوق العامة بأن مقترحاتنا غير دستورية رغم الجهود التي بذلناها؟ سنجيبها: «غيرّي الدساتير، اجعليها متكيفة مع قرننا ومع طاقاتنا كنساء، ومع عدالة اقتسام السلطة الديمقراطية».

لقد تغيرنا ونحن اليوم نغيّر الدساتير لأسباب لا ترقى إلى مستوى هذه القضية: في فرنسا، مؤخراً، هناك اتفاقات ماشتريخت، وتكوين المجلس الأعلى للعدل، وإضافة سنة أو حذفها إلى مدة تعاقد رئيس الجمهورية (وهو مشروع تحت الدرس باستمرار!)، وجميع هذه المشاريع تلقى عند نوابنا وشيوخنا (٩٥٪ من الرجال) الأغلبية المطلوبة لتعديل النّص الأعلى.

وإذن، لماذا لا يكون هناك تعديل للدستور ليتاح للنساء أن يتحملن، بمساواة، مسؤولياتهن بوصفهن مواطنات؟

أظن أن قانونا انتخابيا في فرنسا وفي كثير من الأقطار، يكفي في الوقت الراهن. لكن علينا ألا ننسى أنه، فى نظام برلماني، ما يضعه قانون يمكن لقانون آخر أن يلغيه.

إن الرهان يتعدّى الظواهر العارضة، المألوفة، للتناوب السياسي. إنه يعني بكل بساطة، قواعد لعب جديدة لتشييد عالم الغد الذي سيكون **صانعوه وصانعاته** هم الرجال والنساء.

هل سيكون ذلك العالم أفضل؟ سيكون بالتأكيد مختلفا لأنه سيكون أكثر عدلا وإذن سيكون أفضل.

لا بد أن نضع حدا للظلم وللمغالطات البائدة التي هي، في حد ذاتها، مخالفة للعدالة. علينا أن نقطع الطريق على فشل كوني، حتى ولو كان هناك بعض التقدم فيما يخص المساهمة السياسية للنساء في أقطار أوربية أخرى (خاصة فى البلدان الإسكندنافية وألمانيا). لا يمكن اليوم، لدولة القانون أن تكون، في الآن نفسه، متعهدة لأخلاق مساواتية للنساء ومدّمرة لمساواتهن السياسية.

الديمقراطية التعادلية؟ يعترفون أحيانا بأنها قد تكون مطلباً عادلاً، إلا أنهم يبادرون إلى القول بأنها ما تزال طوباوية (إيتوبيا). لا أعتقد ذلك؛ أو لنقل بأن الطوباوية هي مشروع وتصميم التغيير الجوهري لمجتمعاتنا.

حاولوا قياس الطريق الذي قطعته النساء في المجالات الأخرى خلال أقل من قرن. فلماذا يتعين على السياسة أن تنجو من هذه الحركة التي هي أحد الأحداث الثورية الأكثر تمييزا لعصرنا؟

هل ننسى بأن تقدم النساء يرافق تقدم الديمقراطية وبأن الفترات السوداء من تاريخنا (هتلر، فرانكو، بيتان، بينوشي، الخ.) قد تزامنت دائما مع تقهقر حقوق النساء وإقصائهن من عالم الشغل ومن كل المسؤوليات، ومع وأد الحريات وحقوق الإنسان؟(١٢)

أحب العبارة التالية التي تلخصّ هذه المعاينة: «السّوط للنساء معناه الجلد بالسوط لجميع الشعوب...»

خلال خمس، أو عشر أو عشرين سنة، ستنجح الديمقراطية التعادلية فيما أخفقت الديمقراطية المساواتية فى تحقيقه.

وعندئذ ستكون السياسة حواراً، وتغييراً للثقافة.

عندئذ، ستلد السياسة ديمقرطيّة أخرى: الديمقراطية التعادلية(١٣).

الهوامش

(١) انظر: Genevieve Fraisse, La raison des femmes, Paris, Ilon, 1992,

(٢) ألغي بمرسوم صادر في السنة الثانية من قيام الثورة الفرنسية، ثم أعيد الرق سنة ١٨٠٢، وألغي نهائيا في ٢٧ أبريل ١٨٤٨.

(٣) منحت النساء حق التصويت بقرار من الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية يوم ٢١ أبريل ١٩٩٤.

(٤) "كل شخص له الحق في أن يشارك في تسيير الشؤون العامة لبلاده (...)"

(٥) "كل واحد يمكنه أن يتمتع بجميع الحقوق والحريات المعلن عنها في هذا الإعلان بدون أي تمييز، خاصة السلالة واللون والجنس"

(٦) منظمة الأمم المتحدة، ١٩٧٩.

(٧) تقرير عن المثل العليا الديمقراطية وعن حقوق النساء، قدم إلى ندوة مجلس أوربا عن: الديمقراطية التعادلية أربعون سنة من نشاط مجلس أوربا، ٦، ٧ نوفمبر ١٩٨٩.

(٨) في كتابها: Le temps de la difference كتاب الجيب ١٩٨٩.

(٩) كتاب مذكور في هامش (١)

(١٠) يوم ٢١ أكتوبر ١٩٨٢.

(١١) قرار المجلس الدستوري صدر يوم ١٨ نوفمبر ١٩٨٢.

(١٢) كان القانون الجنائي الهتليري يحكم بالإعدام على النساء بسبب الإجهاض، وقد حذا حذوه القانون الجنائي الفرنسي في عهد بيتان. ومن جهة ثانية كانت النساء مرفوضات من عالم الشغل وكانت هناك دعوة لعودتهن إلى المطبخ باعتبار ذلك ضرورة حيوية للشعب الألماني.

(١٣) خلال شهر مارس ١٩٩٤، وبمبادرة من مجلة «اختيار» (Choisir) قدّم مشروعا قانونين إلى الجمعية الوطنية (قانونان برقم ١٠٤٨، و١٠٥٦) وإلى مجلس الشيوخ (قانونان يحملان رقمي: ٣٠٤، ٣٠٥) ووقعهما جان بيير شوفينمان ورفاقه. وكان القانون الأول يقترح الإضافة التالية إلى الدستور (البند ٣): «الوصول المتساوي للنساء والرجال إلى الانتدابات السياسية تضمنه التعادلية (العددية)»، ويقتضي إجراء استفتاء (حسب البند ١١ من الدستور). والقانون الثاني يقترح الإطار الذي يجب أن تندرج ضمنه تعديلات القانون الانتخابي بتطبيق المبدأ التعادلي، كيفما كانت صيغة الإقتراع.

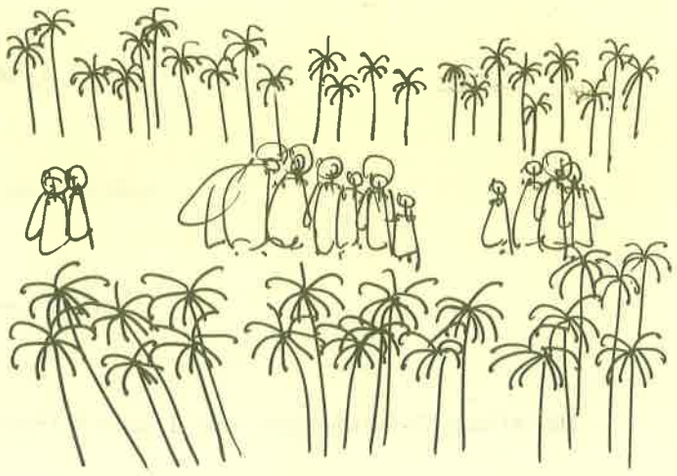

أسماء وعناوين دور النشر التي أصدرت الكتب الواردة في هذا العدد

الأردن

- **دار المدى** : ص.ب. ١٨٣٧٦٤ / عمان
- **دار الكرمل**: ص.ب. ١٧٠٦٧ / عمان ١١١٩٥ الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب

تونس

- **الدار التونسية للنشر**: 36 نهج باب الخضراء / تونس

سوريا

- **دار الجندي**: ص.ب. ١٠٥٣ / دمشق
- **دار الباحث**: ص.ب. ٩٩ / سلمية

فلسطين

- **مركز الدراسات النسوية في القدس**: ص.ب. ١٩٥٩١ / القدس

لبنان

- **الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان**
- **الرازي**: ص.ب. ١٣٥١٢٧ / بيروت
- **دار الآداب**: ص.ب. ٤١٢٣ / ١١ / بيروت
- **دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع**
- **المركز الثقافي العربي**: الحمراء شارع جان دارك بداية المقدسي ص.ب. ٥١٥٨ / ١١٣ / بيروت
- **معهد دراسات المرأة في العالم العربي**: الجامعة اللبنانية الأميركية ص.ب. ١٣/٥٠٥٣ / بيروت
- **المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر**: الحمرا شارع اميل اده بداية السلام ص.ب. ٦٣١١ / ١١٣ / بيروت
- **مؤسسة الدراسات الفلسطينية**: ص.ب. ١١/١٧٦٤ / بيروت

مصر

- **الجامعة الأمريكية**: ص.ب. ١١٢٥ / القاهرة
- **دار نصوص**: ٦ شارع مخلوف ميدان الدقي / القاهرة
- **دار الهلال**: ١٦ شارع محمد عز العرب / المبتديان/ القاهرة
- **دار سينا للنشر**: ١٨ شارع ضريح سعد/ القاهرة
- **عيون جديدة**: ١٣ شارع عمرو / المهندسين/ الجيزة
- **الهيئة المصرية العامة للكتاب** : كورنيش النيل / رملة بولاق / القاهرة

المغرب

- **أفريقيا الشرق**: 159مكرر / شارع يعقوب المنصور / الدرا البيضاء

المملكة المتحدة

- دار الساقي - **Dar Al Saqi:** 26 Westbourne Grove - London W2 5RH

الولايات المتحدة الأمريكية

- **Columbia University Press**, New York Chichester, West Sussex
- **Routledge**, 29 West 35 Street, New York, NY 1001